جمعية القرآن الكريم الأمانة العامة
الإدارة العلمية
سلسلة دراسات قرآنية٣

الأمّة
بين عَوامِلِ الوِحْدة
ومَعاوِلِ التفتيت

(دراسةٌ قرآنيّة وسياسيةٌ في ترسيخِ وِحْدةِ الأمة ومواجهة التقسيم)

{ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ }

{وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}

د.محمد عمر دولة

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ/٢٠١٠م

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾. آل عمران: ١٠٣.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٩.

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٦.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ النحل: ٩٢.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ الأنفال: ١.

مقدمة:

الحمــــد لله القائــــل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾،[١] والصَّلاةُ والسلامُ على المبعُوثِ ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾،[٢] الذي قال لــه ربُّــه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.[٣] وعلى آلِه وصَحْبِه الطيِّبين الطاهرين الذين مَــدَحَهم ربُّهم بأنهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾،[٤] وأثْنَى عزَّ وجلَّ عليهم وعلى مَنْ جاء بعــدَهم بتــآلُفِهم وتعاطُفِهم ووِحْدَةِ كَلِمَتِهم واجتِماعِ شَمْلِهم؛ فقال جلَّ جلاله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.[٥]

وبعد، فقد طلب مني أخي الدكتور عبدالرحمن محمد علي سـعيد الأمـين العـام لجمعية القرآن الكريم تأليف كتاب يكون مرجعاً يفيء الناس إليه في فِقْــهِ الوِحْــدةِ[٦]

---

١ الأنبياء: ٩٢، والقائل سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٥٢.

٢ الأنبياء: ١٠٧.

٣ الأنفال: ٦٢–٦٣.

٤ الفتح: ٢٩.

٥ الحشر: ٨–١٠.

٦ الوَحْدة – بفتح الواو – تعني الانفراد، والوِحدة بكسر الواو تعني الاجتماع: قال الجوهري رحمه الله: "الوَحْدَةُ: الانفرادُ. تقول: رأيته وحدَه".الصحاح في اللغة للجوهري ٢٦٩/٢. وقال ابن فارس رحمه الله في (معجم مقـاييس اللغة ٩٠/٦–٩١: "(وحد) أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد. من ذلك الوَحْدَة. وهو وَاحدُ قبيلته، إذا لم يكنْ فيهم مثلُه". وأما الفرق بين الوَحْدة والوِحْدة: فقد قال الحريري (قاسم بن علي الحريري ٤٤٦هـ– ٥١٦هـ) رحمه الله

والائتلاف، ونَبْذِ أهواءِ الفُرقةِ والاختِلاف؛ فنحن في زمانٍ ضَعُفَتْ فيه رُوحُ الوِحْدة، ونزَغَ الشيطانُ بين الناس[7] وأفْشَى فيهم رِيحَ الفُرْقة؛ فصار الناسُ أشْتاتا، ونقَضُوا غَزْلَ اجْتِماعِهِم أنْكاثا؛[8] فكان هذا الكِتابُ دعوةً للوِحْدة ونداءً للناسِ أن اجتَمِعُوا: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴾،[9] وتذكَّرُوا قولَ الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾.[10]

هذا، وكثيراً ما تُتناوَل الوِحْدةُ في وسائلِ إعلامِنا الإسلامية بنظراتٍ جزئيّةٍ أو سطحيّةٍ، وتلك من مُعضلاتِ العالَم الإسلامي: أننا لا نعتمِدُ في حَلِّ قضايانا السياسيّةِ والاجتماعيةِ على الدراساتِ العلمية، وأما أعداءُ الأمة فيستفيدُون من المراكِزِ الكبرى

في (دُرّة الغوّاص في أوهام الخواص١/٢٩١. مادة (و ح د): "ومن أوهامهم أنهم لا يُفرِّقُون بين الوَحْدة (بفتح الواو) والوِحْدة (بخفضها) فيقولون: الوحدة العربية: ويعنون انصهارَ الدول العربية في دولة واحدة، فيوهمون، لأن الوَحْدة (بالفتح) تعني الانفراد، بينما الوِحْدة (بالخفض) تعني الارتباط والانصهار وجمع الأجزاء... وعلى هذا تكون الوَحْدة من الانفراد، وتكون الوِحْدة من الاتحاد". درة الغواص تحقيق: عرفات مطرجي. مؤسسة الكتب الثقافية: ١٤١٨/١٩٩٨هـ. بيروت. وقد سها العلامة ابن فارس رحمه الله في حَمْله مادة (وحد) كلها على معنى الانفراد، والأَوْلَى حملُها على أصلَيْن: الانفراد والاجتماع؛ لأنَّ قولَنا: (اتَّحَدَ الرّجلان)، و(بينَهما اتحادٌ) لا يدلُّ على الانفراد؛ بل هو من الاجتماع. وقد نصَّ اللغويُّون على أنَّ معنى "(اتحد) الشيئان أو الأشياء: صارت شيئا واحدا". المعجم الوسيط ٢/١٠١٦، كما قال الزمخشري رحمه الله: "اتحد الرّجلان، وبينهما اتحادٌ". أساس البلاغة للزمخشري ٢/١١. أي بينهما اجتماع واتفاقٌ، ومادة (وَحَد) ثريّةٌ في الاستعمال، وقد وَرَد من معانيها: "وحَّد الله سبحانه: أقر وآمن بأنه واحد. والله الأوحد: ذو الوحدانية. والتوحيد: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له. والتوحيد في النظام السياسي: اتحاد أُمتين أو أكثر في الرياسة والسياسة والجيش والاقتصاد لِيَكُونُوا أُمّةً واحِدة (مُوَلَّد)". العامي الفصيح: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/٢٧.

٧ قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾ الإسراء: ٥٣.

٨ قال البغوي رحمه الله في تفسيره ٥/٤٠: ﴿أَنكَٰثٗا﴾ يعني أنقاضا واحدها (نِكْث): وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا.

٩ النحل: ٩٢.

١٠ الأنفال: ١.

للبحوثِ والدراسات، ولا يُنفِّذُون مشاريعَهم في تَفتِيتِ الأمة ونَهْبِ ثرواتِها إلا بعد التخطيطِ الْمُحْكَم والدراساتِ الدقيقة.

وقد ظلَّتْ (الوِحْدة) في تاريخِنا المعاصِرِ قضيةً (قوميّةً)؛ وكانت ــ حِيناً من الدهرِ ــ مِن مُصْطَلَحاتِ القوميين العرب وقامُوسِهم الفكري والسياسي؛ فقد كانوا سابقِين في طَرْحِ (الوِحْدة)؛ وأدبِيّاتُهم شاهِدةٌ بذلك؛ ولكنهم قَصَرُوا (الوِحْدَةَ) على البُعْدِ (العَرَبِي) وقَصُّوا أجْنِحَتَها عن أُفُقِ الثقافةِ الإسلاميّة الواسع؛ فأقْصَوْها عن المجالِ (العالَمِيّ) الذي كانت تُحلِّق فيه؛ حين صارت ﴿فِي مَعۡزِلٖ﴾ عن المرجعيّةِ الإسلاميّة الرَّحْبة. فصار لسان حالِها:

أسِرْبَ القَطا هَل من مُعِيرٍ جَناحَهُ * لَعَلِّي إلى مَنْ قَد هَوِيتُ أطِيرُ[11]

وشَتّانَ ــ في الثقافةِ والتاريخِ والجغرافيا ــ بين سَعَةِ الخطابِ الإسلامي الإنساني العالَمي، وبين ضِيقِ الخطابِ العربي القومي؛ فإنَّ موضُوعَ الوِحْدة والتفتِيتِ في الرؤية الإسلامية أكبَرُ من النظرةِ الجغرافيةِ والقوميّة وقِسْمَةِ الترابِ والمواردِ.

بَيْدَ أن الملاحظةَ المهمة: أنَّ كثيراً مِمَّنِ يتعرَّضُ لِقضيَّةِ الوِحْدةِ والتفتِيت، لا يُدْرِكُ مِن عواملِ الوِحْدة ومَعاوِلِ التفتِيتِ إلا الأعْراضَ الظاهِرة: فيخفى عليه ضرورة اغتنام العامل السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لتحقيق الوحدة والتصدِّي لِمَعاوِلِ الفرقة والتفتيت.

---

١١ القصيدة لقيس بن الملوح، دواوين الشعر العربي على مر العصور ١٨٩/٩، رقم القصيدة : ١٤١٠٤. وبعد هذا البيت:

وأي قطاة لم تعرني جناحها * فعاشَتْ بضَيرٍ والجَناحُ كَسيرُ

وإلاّ فَمَنْ هذا يُؤدِّي تَحِيّةً * فأشكره إن المحب شكورُ

فإنَّ العِنايةَ بالعامِلِ السياسي للوحدة ضرورةٌ: وقد أشار إليه القرآنُ الكريمُ بـ(البُنْيانِ المرصُوص) الذي لا يمكن اختِراقُه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾.[12] ويتمثّلُ هذا التوجيهُ في توحِيدِ الجبهةِ الداخليّة؛ حتى تصِيرَ كـ(البُنْيانِ المرصُوصِ) المستَعْصِي على التفتِيتِ السياسي والاجتماعي والثقافي؛ مما يحفظ للأمّة قُوّتَها وتَماسُكَها وعوامِلَ وِحْدَتِها.[13] وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾.[14] وفي هذا تحذيرٌ من اختِلالِ الجبهةِ الداخليّة وعدَمِ تَماسُكِها؛ وفَتْحِ ثَغراتٍ للأعداءِ الذين يتتبَّعُون نقاطَ الضَّعْف ويحاولون تمزيقَ الأمةِ مِن خِلالِها؛ فإنَّ التفلُّتَ الداخلي يجر التدخُّلَ الخارجي.

ومِن المهمِّ: التنبيهُ على أنَّ تقويةَ رُوحِ التديُّنِ في المجتمَع خيرُ أساسٍ لِقيامِ الوِحْدة ودَيْمُومَتِها، وهذا الذي يحفظ السلامَ الاجتماعي، وينشر الاستِقْرارَ الفكري والسياسي؛ ولذلك جَمَعَ القرآنُ في سياقٍ واحدٍ بين الأمرِ بطاعةِ الله ورسولِه ﷺ والصبرِ ـ وما يعنيه ذلك من تقويةِ رُوحِ التديُّن ـ وبين النهيِ عن التنازُعِ المفضي إلى الفشل: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾.[15] فأفاد مجموعُ السياقِ أنَّ طاعةَ اللهِ والرسولِ ﷺ والصبرَ من عوامِلِ وحدة الأمة، كما أن التنازعَ من معاوِلِ الهدمِ والتفتيت.

---

١٢ الصف: ٤.

١٣ قال سعيد بن جبير: "هذا تَعْلِيمٌ مِن الله تعالى للمؤمنين كيف يكونون عند قِتالِ عَدُوِّهم". تفسير القرطبي ٨١/١٨.

١٤ آل عمران: ١٥٩.

١٥ الأنفال: ٤٦.

ولا بد من العناية بدَوْرِ العامِلِ الثقافي في تحقيقِ الوِحْدة: وذلك بزيادةِ الوَعْيِ بالقواسِمِ المشتَرَكة، مع نَبْذِ النَّعَراتِ القوميّة والنَّزَعاتِ الجهوية؛ فإنها قائمةٌ في الغالب على قِلّة العلم؛ الذي يُولِّدُ الانغِلاقَ والتقَوْقُعَ وضِيقَ الأفق. ومِن أعظَمِ المَعاوِلِ الثقافية لِهَدْمِ الوِحْدة: اجتماعُ الجهل وأهواء النفوس ﴿كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾.[16] ولا سبيل لعلاج هذه الظاهرة في المجتمع إلا بالتوعية العلمية القائمة على بيان محاسنِ التوحُّدِ والتعاوُن، وبيان مساوىءِ التفرُّقِ والتنازُع، مع فَضْحِ النَّعَرات العِرْقِيّة، فهذا هو الأسلُوبُ النافعُ والعِلاجُ الناجعُ الذي اتَّبَعه النبيُّ ﷺ فلم يتَسامَحْ مع أبي ذر رضي الله عنه حين عَيَّرَ رجلاً بأنَّ أمَّه أعجميةٌ: فقال له ﷺ: (إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ!)[17] لأنَّ في النَّعَرات العِرْقِيَّة شُذُوذاً وخُرُوجاً عن قِيَم المجتمع، ومِعْوَلاً لِهَدْمِ الاستِقْرارِ والسلامِ الاجتماعي. وهو الأسلوبُ الذي استَعْمَلَه النبيُّ ﷺ كذلك في الإصلاحِ بين المهاجرين والأنصار بعد أنْ أُثِيرَتْ فيهم نزَعاتُ التفتيتِ وفِتَنُ التفريقِ؛ فاتبَعَ ﷺ أسلُوبَ الحزْمِ والحسْمِ في مُواجَهةِ الدَّعَواتِ التي تُمزِّقُ الأمّة؛ فبيَّنَ ﷺ قُبْحَ هذه النَّعَراتِ التي تُفرِّقُ المجتمَع وتَهْدِمُ وِحْدَتَه واستِقْرارَه، فقال ﷺ كلمةً بليغةً وعِبارةً في غايةِ التنفيرِ والتقبيحِ للنَّعَرات: (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنةٌ!) (دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ!) وهي عبارةٌ في غايةِ السُّمُوِّ والرُّقِيِّ الإنساني؛ وقد أثْمَرَتْ استِقْراراً سياسياًّ وسلاماً اجتماعياًّ، ونَزْعاً لِفَتِيلِ الحربِ ووأْداً للفِتْنة الداخليةِ في دولةِ المدينة.

---

١٦ النور: ٤٠.

١٧ قال أبو ذر: (كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَنِلْتُ مِنْهَا فَذَكَرَنِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِي أَسَابَبْتَ فُلَانًا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَفَنِلْتَ مِنْ أُمِّهِ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ). صحيح البخاري ١٩/٨، حديث ٦٠٥٠. وصحيح مسلم ٩٣/٥، حديث ٤٤٠٥.

ومن الضرورة العناية بالعامل الاجتماعي: بالزيادة المطّردة في نسبةِ التنميةِ الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة، وسياسة تقوية العلاقاتِ الاجتماعية والأُسَرِيّة، وتخفيف الأعباء عن الناس؛ فإنَّ الاستِقْرارَ الاجتماعي عامِلٌ أساسٌ في جَعْلِ الوِحْدةِ شُعُورا غالِباً ومَطْلَباً جَماعيّاً ورأياً عامّاً. وكثيرٌ من الفوضى السياسية والاجتماعية في عالَمِنا الإسلامي لها جذورٌ اجتماعيةٌ، تتمثلُ في تَمَرْكُزِ التنميةِ وخدماتِها في المدنِ الكبرى وسوءِ توزيعِ الموارِدِ وضَعفِ التنميةِ في الأقاليم البعيدة؛ مما ولَّدَ شُعُوراً بالغُبْنِ والتوزِيعِ غيرِ العادِلِ للثروةِ والسلطة؛ ظهرَ جَلِيّاً في دعواتِ التهمِيش في دارفور، وفي عَدَن وغيرِها من المدن الفقيرة اقتصاديا في جنوبِ اليَمَن وفي أمثالِها من الدول العربية. وتُهَمُ التهميشِ لها آثارٌ بَلِيغةٌ في تفريقِ الصُّفوف وتشظِّي الأمّة، ولها صَدًى عميقٌ يَفْتِنُ قلوبَ الضعفاء؛ فلا بُدَّ أنْ يرتقِيَ الوَعْيُ الاجتماعي والسياسي عند حُكّام الأُمّةِ وشُعُوبِها بضرورةِ التكافل والتعاون على إقامةِ الوِحْدَةِ والاتفاقِ والبُعْدِ عن التنازُعِ والشِّقاق؛ فإنَّ أعداءَ الأُمّة يتربَّصُون بنا الدوائر، وإنَّ طَمَعَهم في تَفتِيتِ الوِحْدةِ قديمٌ؛ ولكنَّ وَعْيَ الصحابةِ رضي الله عنهم كانَ أعظَمَ وأتَمَّ؛ ومِنْ ثَمَّ فَشِلَتْ خُطَطُ شَقِّ الصُّفوفِ وتفريقِ الكلمة؛ فقد كان إحْساسُ الصحابةِ بالوِحْدة مُتَجَذِّراً؛ لِكَمالِ إيمانهم وتَمامِ فِقْهِهم ومعرِفَتِهم بالقرآنِ والهديِ النبوي؛ فكانوا أوْلَى الناسِ بقولِ الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾.[18] فكانوا أحْرَصَ الناسِ على الوِحْدةِ وأبْعَدَهم عن الفِتْنة، ألا ترَى موقِفَ كعبِ بن مالك حين راوَدَه مَلِكُ غسَّان عن دِينه؛ لِيُفتِّتَ به وِحْدةَ المسلمين؛ فصَبَرَ كَعبٌ ولم يستَجِبْ لِداعي الشيطانِ وحظوظِ النفسِ مع ما كان فيه من الضِّيقِ والشِّدةِ، كما روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن كعبِ بنِ مالك رضي الله عنه قالَ: (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي

---

١٨ الأعراف: ٢٠١.

بِسُوق الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ؛ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ؛ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ) فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ؛ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا).[١٩] قال ابن حجر رحمه الله: "ودلَّ صنيعُ كعبٍ هذا على قُوّةِ إيمانه ومَحبَّتِه لله ولرسولِه ﷺ؛ وإلا فمَنْ صار في مثلِ حالِه مِن الْهَجْرِ والإعْراضِ قد يضعُفُ عن احتِمالِ ذلك؛ وتَحْمِلُه الرغبةُ في الجاهِ والمالِ على هِجْرانِ مَنْ هَجَرَه، ولا سيما مع أمْنِه مِن الْمِلكِ الذي استدعاه إليه أنه لا يُكْرِهُه على فِراقِ دِينِه؛ لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمَنُ من الافتِتانِ حَسَمَ المادةَ وأحْرَقَ الكتابَ ومَنَعَ الجوابَ؛ هذا مع كَوْنِه مِن الشعراءِ الذين طُبِعَتْ نفوسُهم على الرَّغبة؛ ولا سيما بعد الاستِدْعاء والحثِّ على الوُصُولِ إلى المقصُودِ من الجاهِ والمالِ ولا سيما والذي استدعاه قَرِيبُه ونَسيبُه؛ ومع ذلك فغلَبَ عليه دِينُه وقَوِيَ عندَه يَقِينُه؛ ورَجَّحَ ما هو فيه من النَّكَدِ والتعذيبِ على ما دُعِيَ إليه من الراحةِ والنعيم؛ حُباً في الله ورسوله ﷺ كما قال ﷺ: (وأن يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه مما سواهما)، وعند ابن عائذ أنه شكا حالَه إلى رسولِ الله ﷺ وقال: (ما زال إعْراضُك عنِّي حتى رَغِبَ فِيَّ أهلُ الشِّرك)".[٢٠]

وما زال أعداءُ الأُمّة يجتهِدُون في شَقِّ الصُّفوفِ وتفريقِ الكَلِمة وتَفْتيتِ الوحْدة، وهذه معركةٌ دائمةٌ في التاريخ، كما قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في تفسير الآيات

---

١٩ صحيح البخاري ٧/٦، حديث ٤٤١٨. وصحيح مسلم ١٠٥/٨، حديث ٧١٩٢. قال ابن حجر رحمه الله: "وزاد في رواية ابن أبي شيبة: فقلت: (إنا لله قد طمع فِيَّ أهل الكفر) ونحوه لابن مردويه قوله (فتيممت) أي قصدت و(التنور) ما يخبز فيه وقوله (فسجرته) بسين مهملة وجيم أي أوقدته، وأنَّثَ الكتاب على معنى الصحيفة. وفي رواية ابن مردويه فعمدت بها إلى تنور به فسجرته بها؛ فتح الباري لابن حجر ١٢١/٨.

٢٠ فتح الباري لابن حجر ١٢١/٨.

من سورة آل عمران: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾:[21] "إنَّ هاتَيْن الآيَتَيْن مِن قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ والآياتِ بعدَهما إلى قوله: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ نزلَتْ في رجلٍ من اليهودِ حاوَلَ الإغْراءَ بين الْحَيَّيْن مِن الأوسِ والخزرَجِ بعد الإسْلام؛ لِيُراجعُوا ما كانوا عليه في جاهِلِيَّتِهم مِن العداوةِ والبغضاء؛ فعنَّفَه الله بِفِعْلِه ذلك، وقبَّحَ له ما فَعَلَ ووَبَّخَه عليه، ووَعَظَ أيضًا أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ونَهاهم عن الافتِراقِ والاختِلاف، وأمَرَهم بالاجتماعِ والائتلاف".[22]

فهذا دأْبُ اليهود والمنافقين، لا يزالون يُفرِّقُون المجتمعاتِ ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾[23] بإثارةِ الفِتَنِ لِتفتيتِ وحْدةِ الأمةِ والقضاءِ على تَماسُك صُفوفِها. وقد روى البخاري رحمه الله في كتاب (المناقب)، باب (مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ) عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى

٢١ آل عمران: ٩٨–١٠٥.

٢٢ جامع البيان للطبري ٦/٥٤.

٢٣ المائدة: ٦٤ .

كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا؛ فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ! وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟! ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾! فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ ــ لِعَبْدِ اللهِ ــ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَه).[٢٤] وفي روايةٍ لِمسلمٍ[٢٥] وللبخاري في باب (قَوْلِهِ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾[٢٦]).[٢٧] وباب قَوْلِهِ: (﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[٢٨]).[٢٩] فَقَالَ: (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ). ولو تدبرنا الأوضاع السياسية في عالمِنا الإسلامي؛ لرأينا مِعْوَلَ التفرقةِ يهدم استقرارَ مجتمعاتِنا ببثِّ النِّزاعاتِ الْمُزْمِنة بين الحكوماتِ والمعارَضة في كثيرٍ من بُلْداننا؛ بتقويةِ الحكوماتِ حِيناً والمعارَضة أحيانا؛ لإضْعافِهما وإنْهاكِهما جميعاً؛ وصِناعةِ توتُّرٍ اجتِماعي وسياسِي دائمٍ في العالَم الإسلامي؛ يُسَهِّلُ على مَعاولِ الهدم أنْ تعملَ باستمرار، وتستَنْزِفَ طاقاتِنا السياسيّة وتنهَبَ ثَرَواتِنا الاقتِصاديّة في آنٍ واحِدٍ؛ مما يستدعي أنْ تكونَ الأمةُ ــ بِحُكّامِها وشُعُوبِها ــ يقِظةً فَطِنةً لِما يُرادُ بها، واعِيةً

---

٢٤ صحيح البخاري ٢٢٣/٤، حديث ٣٥١٨.

٢٥ صحيح مسلم ١٩/٨، حديث ٦٧٤٨.

٢٦ المنافقون: ٦.

٢٧ صحيح البخاري ١٩١/٦، حديث ٤٩٠٥.

٢٨ المنافقون: ٨.

٢٩ صحيح البخاري ١٩٢/٦، حديث ٤٩٠٧.

بخطرِ التنازُعِ الذي يؤدِّي إلى تفتيتِ الأمةِ؛ ليسهُلَ ابتلاعُها بعد ذلك، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾،[٣٠] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾.[٣١]

و"إنَّ وِحْدةَ الأُمّة مِن الضروراتِ الْمُلِحّة في عصرِنا هذا الذي هو عَصْرُ التكتُّلاتِ والتحالُفات بين الدول الكبرى؛[٣٢] مما يُحتِّمُ أنْ تجتمعَ كلِمةُ الأُمّة"،[٣٣] وأنْ يتعاوَنَ أهلُ الإسلامِ على الحفاظِ على دينِهم وشريعَتِهم الإسلاميّة السَّمْحة:

تأبَى الرِّماحُ إذا اجتَمَعْنَ تكسُّراً * وإذا افتَرَقْنَ تكسَّرَتْ أفرادا![٣٤]

و"ليس أسوأ من تفرُّقِ الأُمّة وتَمَزُّقِ صُفوفِها وانقِسامِها؛ لذا حَرِصَ الإسلامُ على وحدةِ الصَّفِّ واجتِماعِ الكلِمة، وتحقيقِ الأُلْفة[٣٥] وإشاعة المحبة. والسبيلُ التي وَحَّدَ اللّه بها الأُمّةَ هو اتحادُ دستورِها، واعتِصامُها بكتابِ اللّه وسُنّةِ نبيِّه ﷺ".[٣٦]

فالوِحْدةُ نداءُ القرآنِ والسّنّة، وشِعارُ أهلِ الإسلامِ المخلِصين في كلِّ زمانٍ، وهي دعوةُ أهلِ العلمِ والدَّعْوةِ قديماً وحديثاً، كما قال الشاطبي رحمه الله في كتابِه القيِّمِ الذي سَمَّاه باسْمِ (الاعتِصام): "الإسلامُ يَدْعُو إلى الأُلْفةِ والتحابِّ والتراحُمِ

---

٣٠ النساء: ٧١.

٣١ النساء: ١٠٢.

٣٢ كالاتحاد الأوربي وغيره من الأحلاف الكبرى.

٣٣ فقه الائتلاف ص١ للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله.

٣٤ البيت لمعن بن زائدة من بيتين ذكرَهما أحمد قبش في مجمع الحكم والأمثال، في الوحدة والاتحاد:

كونوا جَميعاً يا بَنيَّ إذا اعترى * خَطْبٌ ولا تتفرقوا آحادا!

تأبَى الرماحُ إذا اجتمعْنَ تكسُّراً * وإذا افترَقْنَ تكسَّرَتْ أفرادا!

٣٥ قال الفيومي رحمه الله: "أَلِفْته إِلْفًا مِنْ بَابِ عَلِمَ: أَنِسْت بِهِ وَأَحْبَبْته، وَالِاسْمُ الْأُلْفَةُ بالضَّمِّ. وَالْأُلْفَةُ أَيْضًا اسْمٌ مِنْ الِائْتِلَافِ: وَهُوَ الِالْتِئَامُ وَالاجْتِمَاعُ. وَاسْمُ الْفَاعِلِ أَلِيفٌ: مِثْلُ عَلِيمٍ، وَآلِفٌ مِثْلُ عَالِمٍ... وَتَأَلَّفَ الْقَوْمُ بِمَعْنَى اجْتَمَعُوا وَتَحَابُّوا وَأَلَّفْت بَيْنَهُمْ تَأْلِيفًا". المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ١/١١٣.

٣٦ التفسير الوسيط للزحيلي ١/٢٢١.

والتعاطُفِ؛ فكلُّ ما أدَّى إلى خِلافِ ذلك فخارجٌ عن الدِّين".[٣٧] و"كلُّ مسألةٍ حدَثَتْ وطَرأتْ؛ فأوْجَبَتْ العَداوةَ والبغضاءَ والتدابُرَ والقطيعةَ؛ عَلِمْنا أنها ليسَتْ مِن أمرِ الدِّينِ في شيء".[٣٨] وقال ابنُ تيمية رحمه الله: "مِن القواعِدِ العظيمة التي هي جِماعُ الدين: تأليفُ القُلوبِ، واجتِماعُ الكلِمة، وإصلاحُ ذاتِ البَيْن. وأهلُ هذا الأصلِ هم أهلُ السُّنّة والجماعة، كما أنَّ الخارِجين عنه هم أهلُ الفُرقة".[٣٩]

بَيْدَ أنَّ بعضَ الناسِ قديماً وحديثاً مُولَعُون بِنَشْرِ الخلافِ والنِّزاعِ، ومَرْضَى بِحَفْرِ الْهُوّةِ بين المسلمين؛ فتراهم يُوقِعُون الأُمّةَ في الفِتنةِ؛ ولا يذكرون لأحدٍ فضيلةً؛ بل يُضَخِّمون الخلافَ ويَهْجُرُون الإنْصافَ، ويُوغِرُون صُدورَ الناسِ؛ لتحقيقِ فسادِ ذاتِ البَيْنِ: وهي الحالِقةُ التي تَحْلِقُ الدِّين.[٤٠] كأنما عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١

---

٣٧ الاعتصام للشاطبي ٢/٢٣٣. دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٣٨ الاعتصام للشاطبي ٢/٢٣٢.

٣٩ الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/٢١.

٤٠ رواه أبو داود والترمذي رحمهما الله عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ. قَالُوا بَلَى. قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فإن فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هي الْحَالِقَةُ). سنن أبي داود بتعليق الألباني ٤/٤٣٢، حديث ٤٩٢١، وسنن الترمذي شاكر + ألباني -٤/٦٦٣، حديث ٢٥٠٩. قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح ويروى عن النبي ﷺ هي الحالقة لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين). قال الشيخ الألباني: صحيح. وجاء في صحيح ابن حبان في (ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين). صحيح ابن حبان مع حواشي الأرناؤوط كاملة ١١/٤٨٩، حديث ٥٠٩٢. ورواه البخاري رحمه الله في (الأدب المفرد) باب (إصلاح ذات البين) ١/١٤٢، حديث ٣٩١. بأحكام الألباني.

وروى الترمذي رحمه الله عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: (إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة). قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه، ومعنى قوله: (وسوء ذات البين) إنما يعني العداوة والبغضاء وقوله (الحالقة) يقول إنها تحلق الدين). قال الشيخ الألباني: حسن. سنن الترمذي – شاكر + ألباني ٤/٦٦٣، حديث ٢٥٠٨. وروى مَالِك رحمه الله عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِيَّاكُمْ وَالْبِغْضَةَ؛ فَإِنَّهَا هِىَ الْحَالِقَةُ). وموطأ مالك في الموطأ ٥/٣١٤، حديث ١٦٤٢.

ﱡﭐ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﱠ،[41] قد ضاقت صُدُورُهم وعقولُهم عن الوحْدةِ والائتِلاف؛ وعَمِرَتْ بالتعصُّبِ والخلافِ! دأبُهم إثارةُ النَّعراتِ، وبضاعَتُهم إشاعةُ النِّزاعات، ودَيْدَنُهم نَشْرُ العداوةِ والبغضاء: ﱡﭐ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤) ﱠ.[42] ورَحِمَ الله الشافعي فقد كان يَرُدُّ شهادةَ الداعِين إلى العَصَبيّة وتفريقِ وِحْدةِ المسلمين، كما روى البيهقي رحمه الله: "قال الشافعي رحمه الله: مَنْ أظهَرَ العَصَبيّةَ بالكلام وتألَّفَ عليها ودعا إليها؛ فهو مَرْدُودُ الشهادة؛ لأنه أتى مُحرَّماً لا اختِلافَ فيه بين علماءِ المسلمين عَلِمْتُه، واحتَجَّ بقولِ الله تعالى: ﱡﭐ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﱠ،[43] وبقولِ رسولِ الله ﷺ: (وكُونُوا عِبادَ الله إخْوانا)[44]".[45]

وقد أوصَى النبيُّ ﷺ في خطبة الوداع بوَضْعِ أمورِ الجاهلية ونبذِها والترفعِ عنها؛ فمَنَع المظالِمَ الاجتماعية والاقتصادية؛ لأنها معاولُ تهدم المجتمع بالنعراتِ والثاراتِ، والربا، والتعدِّي على النساء والضعفاء.[46] فالأُمّة بناءٌ واحِدٌ متماسِكٌ، يَشُدُّ بعضُه

---

٤١ سورة المطففين: ١-٦ .

٤٢ المائدة: ٦٤.

٤٣ الآية بتمامها: ﱡﭐ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ﱠ الحجرات: ١٠.

٤٤ الحديث رواه البخاري رحمه الله عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ). صحيح البخاري ٢٣/٨، حديث ٦٠٦٥.

٤٥ سنن البيهقي الكبرى ٢٣١/١٠. باب شهادة أهل العصبية.

٤٦ (فَخَطَبَ ﷺ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ

بعضا، كما روى البخاري رحمه الله في باب (تعاون المؤمنين بعضهم بعضا) عَـنْ أَبِـي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًـا، وَشَـبَّكَ أَصَابِعَهُ).[٤٧] ورواه مسلم رحمه الله في باب (تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ) عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًـا).[٤٨] وروى البخاري ومسلم عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ...).[٤٩] ولفظ مسلم رحمه الله: (مَثَـلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).[٥٠] وفي روايةٍ لمسلم: (الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ: إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ؛ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ؛ اشْتَكَى كُلُّهُ).[٥١]

فلا بد من مراعاةِ آدابِ الإسلامِ والتناصُحِ والائتلافِ عند الخـلاف، والالتـزام بالتعاون على البرِّ والتقوى؛ فإنَّ الشرعَ الحنيفَ يحُضُّ على الائتلافِ ويَحرِصُ عليـه، مهما اختلَفَ الناسُ في الفروع؛ قال ابن تيمية رحمه الله: "فـإنَّ السـلفَ تنـازَعُوا في مسائلَ عِلْمِيّةٍ اعتِقاديّة؛ مع بقاءِ الجماعةِ والأُلْفة".[٥٢] وما أحْسَنَ قـولَ ابـنِ القـيِّم: "اختِلافُ الصحابةِ لم يَضُر؛ لأنَّ الأصلَ الذي بَنَوْا عليه واحِدٌ: وهو كتابُ الله وسُـنّةُ

مُبَرِّحٍ. وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ. قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ). صحيح مسلم ٣٩/٤، حديث ٣٠٠٩.

٤٧ صحيح البخاري ١٢٩/١، حديث ٤٨١. و١٦٩/٣، حديث ٢٤٤٦. وصحيح البخاري ١٤/٨، حـديث ٦٠٢٦.

٤٨ صحيح مسلم ٢٠/٨، حديث ٦٧٥٠.

٤٩ صحيح البخاري ١٢/٨، حديث ٦٠١١.

٥٠ صحيح مسلم ٢٠/٨، حديث ٦٧٥١.

٥١ صحيح مسلم ٢٠/٨، حديث ٦٧٥٤.

٥٢ الفتاوى الكبرى ٥٣/٦

رسوله ﷺ. والقصدُ واحدٌ: وهو طاعةُ الله ورسوله ﷺ. والطريق واحدٌ: وهو النظرُ في أدلةِ القرآنِ والسُّنّة، وتقديمُها على كلِّ رأيٍ وقياسٍ وذَوْقٍ وسياسةٍ". [٥٣] وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ من الاختلافِ والتنازُعِ في القرآن؛ لما يفضي إليه من التنازع والشِّقاق، ورَحِمَ الله البخاري حيث خَتَمَ كتاب (فضائل القرآن) بـ(باب اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ)، وروى عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ). [٥٤] وروى رحمه الله عَنْ عَبْدِ الله بنِ مسعود رضي الله عنه (أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ من النَّبيِّ ﷺ خِلاَفَهَا ـ قال ـ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، فَاقْرَآ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا؛ فَأَهْلَكَهُمْ). [٥٥]

ولا ريبَ أنَّ التنازُعَ يَصُدُّ عن الدعوة، ويُفتِّتُ الصفوف، ويُضْعِفُ الأمةَ، كما قال عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾. [٥٦] وقد فُتِنَ بعض الناس بسبب إلتباس الدعوة بالتعصُّب المذهَبِي؛ [٥٧] فلا بُدَّ مِن الإخْلاصِ والتجرُّدِ مِن حُظُوظِ النفسِ لتحقيقِ

٥٣ فقه الائتلاف، لمحمود محمد الخزندار ص ٢٩.

٥٤ صحيح البخاري ٦/٢٤٤-٢٤٥، حديث ٥٠٦٠-٥٠٦١.

٥٥ صحيح البخاري ٦/٢٤٥. حديث ٥٠٦٢.

٥٦ الأنفال: ٤٦ .

٥٧ وقد جاء "في مقدمة رسالة (هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان) للعلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى: [إنه كان ورد عليّ سؤال من مسلمي بلاد جابان – يعني: اليابان – من بلدة (طوكيو) و (أوصاكا) في الشرق الأقصى، حاصله: ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنى المذهب؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة؟ أي: أن يكون مالكيّاً، أو حنفيّاً، أو شافعيّاً، أو غيرها، أو لا يلزم؟ لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم، ونزاع وخيم؛ حينما أراد عدة أنفار من متنوري الأفكار من رجال (يابونيا) أن يدخلوا في دين الإسلام، ويتشرفوا بشرف الإيمان ، فعرضوا ذلك على جمعية المسلمين الكائنة في (طوكيو). فقال جمع من أهل الهند: ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة؛ لأنه سراج الأمة. وقال جمع من أهل أندونيسيا (جاوا): يلزم أن

وحْدة الأُمّة؛ وانظُرْ إلى موقفِ ابنِ عمر رضي الله عنه كيفَ تَرَكَ حظَّ نفسه وهواهـا؛ ليحفظَ على الأمةِ وحْدَتَها، كما روى البخاري رحمه الله عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: (خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ؛ فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَهَلاَّ أَجَبْتَهُ؟ قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَحَلَلْتُ حُبْوَتِي وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلاَمِ؛ فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَمْعِ وَتَسْفِكُ الدَّمَ وَيُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الْجِنَانِ. قَالَ حَبِيبٌ: حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ).[58] وهذا حالُ العلماء الربّانيّين في كلِّ زمان؛ فتراهم يَفِرُّون من الفتن، ويحرصون على تأليفِ القلوبِ وجَمْعِ الأمة وتوحيدِ الكلمة، ويخشون أن يستغلَّ أعداء الأمة كلمةً منهم يفرِّقُون بها الجمعَ ويسفكون بها الدم، ويُحدِثُون بها فتنةً بين الناس. وانظُرْ هذا الرُّقيَّ في الفقهِ السياسي وهذا السُّمُوَّ التربويَّ عند ابن عمر رضي الله عنهما! وقد كان الصحابة يترك الواحد منهم حقّاً شرعيا له بطيب نفس؛ مخافةَ أنْ يُحْدِثَ شرخاً في بناءِ الأمة! ألا ترى موقِفَ حذيفة رضي الله عنه حين قتَلَ المسلمون أباه خطأً يومَ أُحُدٍ كيف غَلَبَ حظَّ نفسه وهَواه ولم يَرْضَ بأخْذِ الدِّيةِ واحتَسَبَ أباه عند الله، كما روى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنهم جميعا، قالت: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ أَيْ عِبَادَ اللهِ أُخْرَاكُمْ فَرَجَعَتْ أُولاَهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأُخْرَاهُمْ فَبَصُرَ حُذَيْفَةُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ فَقَالَ أَيْ عِبَادَ اللهِ أَبِي أَبِي قَالَ : قَالَتْ فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ قَالَ عُرْوَةُ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ

يكون شافعيّاً! فلما سمع الجابانيون كلامهم؛ تعجبوا جدّاً، وتحيروا فيما قصدوا، وصارت مسألة المذاهب سدّاً في سبيل إسلامهم!]" أصل صفة صلاة النبي ﷺ للألباني ١/٤٧-٤٨.

٥٨ صحيح البخاري ٥/١٤١. حديث ٤١٠٨.

فِي حُذَيْفَةَ بَقِيَّةُ خَيْرٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ). [٥٩] فإذا ارتقينا بوعينا السياسي والاجتماعي؛ حتى أصْبَحَ جَمْعُ الأُمّةِ في حياتِنا ونَشْرُ الدَّعوةِ الْهَمَّ الأولَ والهدفَ الأعْظَمَ عندنا؛ فستتحقَّقُ الوِحْدةُ إن شاء الله.

وقد أسْمَيْتُ هذا الكتابَ الذي أرجو أنْ يكونَ سبباً في تنميةِ رُوحِ الوِحْدةِ والائتِلافِ (الأُمّة بين عوامِلِ [٦٠] الوِحْدة ومَعاوِل [٦١] التفتِيت)؛ لِما نراه في أيامِنا هذه مِن خُطَطِ التقسيم في مجتَمَعاتِنا، ومَعاوِلِ الهدم التي تستَهدِف كثيراً مِن دُوَلِ العالَم الإسلامي: كالعراقِ واليمنِ والسودان. سائلاً الله عز وجلَّ أنْ يجعلَ هذا الكتابَ لَبنَةً مُبارَكَةً في بناءِ وِحْدةِ الأمة، ونَبْذِ التنازُعِ والفُرقة؛ فـ"إنَّ مِن أخطَرِ ما أُصِيبَتْ به هذه الأمةُ مَرَضُ الاختِلافِ والمخالَفة: الاختلاف في كل شيء، وعلى كل شيء... وكأنَّ كلَّ ما لَدَى هذه الأُمّة مِن أوامِرَ ونَواهٍ يَحُثُّها على الاختِلافِ أو يدفَعُها إليه، والأمرُ عكسُ ذلك تماما؛ فإنَّ كتابَ الله وسُنّةَ رسولِه ﷺ ما حَرِصَا على شيءٍ بعد التوحيدِ حِرْصَهما على تأكيدِ وِحْدةِ الأُمّة، ونَبْذِ الاختِلافِ بين أبنائها، ومعالَجةِ كلِّ ما مِنْ شأنه أنْ يُعَكِّرَ صَفْوَ العلاقةِ بين المسلمين، أو يَخْدِشَ أُخُوّة المؤمنين، ولعلَّ مبادئ الإسلامِ ما ندَّدَتْ بشيءٍ بعد الإشْراكِ بالله تنديدَها باختِلافِ الأمةِ، وما حَضَّتْ على أمرٍ بعد الإيمانِ بالله حَضَّها على الوِحْدةِ والائتِلاف بين المسلمين. وأوامِرُ الله ورسولِه

---

٥٩ صحيح البخاري ١٢٥/٥، حديث ٤٠٦٥.

٦٠ العوامل هي البواعث فـ"العامل: الباعث أو المؤثر في الشيء يقال: كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء". المعجم الوسيط٦٢٨/٢:

٦١ ويستعمل الْمِعْوَل كثيراً في الهدم والتفتيت. قال الجوهري رحمه الله: "الْمِعْوَلُ: الفأْسُ العَظِيمَةُ التي يُنقَرُ بها الصَّخْرُ، والجَمْعُ مَعاوِلُ". تاج العروس من جواهر القاموس ٧٤/٣٠. وقال ابن الجوزي رحمه الله: "يا هذا، مطايا العمر قد أعْنَقَتْ وأنتَ في مُسامَرةِ الأمل، مَعاولُ الساعات تَهْدِمُ حائطَ الأجَل!". المدهش ١٨٧/١. وقال عماد الدين الأصبهاني رحمه الله: "مَعاوِلُ الساعات تعمل في هَدْمِ سُورِ عُمرك... وأنت لاهٍ عن ذهاب ذاتِك بلَذّاتِك". خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الكاتب الأصبهاني ٦١/٢.

ﷺ واضِحةٌ في دعوتِها لإيجادِ الأمة التي تَكُونُ كالجسَدِ الواحِدِ اذا اشتكَى بعضُه أصابَه الوَهَن كلُّه". [62]

وقد بدأتُ هذا الكتابَ بذِكْرِ التحدِّي العظيمِ وبيانِ مَعاوِلِ الهدمِ الـتي تُواجِـهُ الأُمّةَ، وتسعَى إلى تَمْزيقِها إرَباً، وتقسيمِها ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾، [63] وتحويلِهـا إلى شـظايا [64] دُوَيْلاتٍ صغيرةٍ مُتناحِرة على شاكِلةِ دُوَيْلات الأندلس قبل سقوطِها:

ألقابُ مملَكةٍ في غيرِ مَوْضِعِها * كالْهِرِّ يَحْكِي انتِفاخاً صَوْلَةَ الأسَدِ!

فتناوَلْتُ في الفصلِ الأول: (مَعاوِلَ تفتيتِ الوِحْدة): واشتمل على تمهيد وأربعـة مباحث. أما التمهيد ففَصَّلَ (دَوْرَ اليهودِ في تفتِيتِ وِحْدةِ الأمّة)؛ فهـم يَقِفُـون وراء كثيرٍ مِن مَعاوِلِ تفتِيتِ المجتمعات في عالَمِنا الإسلامي، كما سيأتي بيانُه.

وأما المبحث الأول: (المِعْوَل السياسي والاقتصادي): فتضمَّنَ ثلاثةَ مَطالِب:

- المطلب الأول: تغذية الخلافات السياسية لِبَثِّ التفرقة في الأمّة:
- المطلب الثاني: تفتيت الوِحْدة بإثارةِ الفِتَنةِ المذهبية في الدول الإسلامية:
- المطلب الثالث: تفتيت الدول وتفريق أهلها لنهب ثرواها:

وأما المبحث الثاني: (المِعْوَل الإعلامي): فاشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الحملة الإعلامية الغربية لشقِّ الدول العربية:
- المطلب الثاني: أثَرُ الشائعاتِ في تفتيتِ وِحْدةِ الأمّة:
- المطلب الثالث: أثر الشائعات في احتلال الدول وتقسيمها:

وأما المبحث الثالث: (المِعْوَل الثقافي والاجتماعي): فتضمَّنَ مطلَبين:

---

٦٢ أدب الاختلاف في الاسلام للعلواني ١/٥.

٦٣ الجن: ١١.

٦٤ الشَّظِيَّةُ مِنْ الْخَشَبِ وَنَحْوِهِ الْفِلْقَةُ الَّتِي تَتَشَظَّى عِنْدَ التَّكْسِيرِ يُقَالُ تَشَظَّتْ الْعَصَا إذَا صَارَتْ فِلَقًـا وَالْجَمْـعُ شَظَايَا . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ١٧/٥.

- المطلب الأول: دَغْدَغة المشاعر القومية لتمزيق وحدة الأمة:
- المطلب الثاني: إضْعاف اللغة العربيّة وتشجيع اللهجات العامية:

وأما المبحث الرابع: (المِعْوَل الأخلاقي): فاشتمَلَ على مطلَبَيْن:

- المطلب الأول: من وسائل تفتيت الأمة إضعافُ رُوح التديُّن:
- المطلب الثاني: إشاعة الفاحشة من وسائل تفتيت الأمة:

وتناولتُ في الفصل الثاني: (أثر العقيدة والعبادة في توحيد الأمة)، مــن خــلال مبحثين:

المبحث الأول: أثر العقيدة في توحيد الأمة: وتضمن مطلبين:

- المطلب الأول: الوِحْدةُ ولزومُ الجماعةِ من الثوابتِ وأصُولِ الدينِ:
- المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية تَحُثُّ على الائتلافِ وتنهى عن التفرق:

والمبحث الثاني: أثر العبادة في توحيد الأمة: واشتمل على خمسة مطالب:

- المطلب الأول: مبدأ الاجتِماع على العبادة في الإسلام:
- المطلب الثاني: الصوم مظهَرٌ من مظاهرِ وِحْدةِ الأمّة الإسلامية:
- المطلب الثالث: الوِحْدة من مقاصد الحج:
- المطلب الرابع: الصلاة ومظاهر الوحدة:
- المطلب الخامس: الزكاة من أعظم مظاهر الوحدة:

كما تناولتُ في الفصل الثالث: (الوِحْدة في القرآن الكــريم)، وتضــمَّنَ ســبعةَ مباحث:

المبحث الأول: جمع القرآن بين أُخُوّةِ الإسلام وبين الإصلاح الاجتماعي:

المبحث الثاني: امتنان الله بالإيمان ووحدة الكلمة بعد الحروب والتمزق:

المبحث الثالث: من أغراضِ القرآن العظمى الحثُّ على الوِحدة:

المبحث الرابع: بيان القرآن أنَّ الاعتِصامَ سبيلُ القُوّة ووِحْدةَ الصَّفِّ مِن أسبابِ النَّصْر:

المبحث الخامس: نهي القرآن الأمة عن التنازع والتفرق والشقاق:

المبحث السادس: بيان القرآن عاقبةَ التنازُع من الفشلِ وذهابِ الرِّيح:

المبحث السابع: تحذير القرآن الكريم من زعزعة وحدةِ الأمة وشقِّ صفِّها:

وأما الفصل الرابع: (الوِحْدة في السُّنّة ودور المؤاخاة ونبذ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة): فذكرتُ فيه ستةَ مباحث:

المبحث الأول: حثُّ السُّنّة على الوِحْدة والنَّهي عن الفُرْقة:

المبحث الثاني: أمرُ النبيِّ ﷺ بإصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ ونَهْيُه عن إفسادِها:

المبحث الثالث: التربية النبوية على التطاوُع والاتفاق وترك التنازُع والشِّقاق:

المبحث الرابع: مِنّة الإيمان والاجتماع بالنصِّ النبوي:

المبحث الخامس: دور المؤاخاة في بِناءِ الوِحْدة:

المبحث السادس: دور نَبْذِ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة: واشتمل على سبعة مطالب:

- المطلب الأول: كسر الأصنام الاجتماعية من العصبيات والنعرات:
- المطلب الثاني: النسَبُ للتعارُف وليس للتفاضل والتفاخُر:
- المطلب الثالث: منع الإساءة العرقية وحزم النبيِّ ﷺ مع زلة أبي ذر:
- المطلب الرابع: تعليم الصحابة مبدأ (مَن أبطأ به عَمَلُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه):
- المطلب الخامس: النهي عن النعرات والعصبيات القومية:
- المطلب السادس: النهي عن القتال للحَمِية والعَصَبية:
- المطلب السابع: عدالة الإسلام فوق الأنساب والأحساب:

وختَمتُ الكتاب بفصلٍ خامسٍ في (معالِم في فقه الوحدة والائتلاف): ذكرتُ فيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: ليس الاختلاف في الفروع الفقهية من التفرق المذموم:

المبحث الثاني: فضل الخروج من الخلاف ومراعاة الاتفاق:

المبحث الثالث: الفتوى الجماعية وأثرها في توحيد الأمة:

المبحث الرابع: لا تعارض بين الوِحْدة الوطنية ووِحْدة الأُمّة:

المبحث الخامس: التأسِّي بالصحابة في الحرصِ على الائتلاف ونَبْذِ الخلاف:

وأسأل الله العظيمَ ربَّ العرشِ الكريم أنْ يتقبل منِّي ومن إخواني في (جمعية القرآن الكريم) كتاب (الأُمّة بين عَوامِلِ الوِحْدة ومَعاوِل التفتيت). وأن يجعلَه سبباً في بِناءِ الأُمّة ونهضتِها، وحِفْظِ وِحْدَتِها واستِقْرارِها. والله الموفق، والمستعان.

الخرطوم ٧ رمضان ١٤٣١هـ

الموافق له: ١٧/٨/٢٠١٠م

الفصل الأول: مَعاوِلُ تفتيتِ الوِحْدة:

تمهيد: دور اليهود في تفتيت وحدة الأمة:

المبحث الأول: المِعْوَل السياسي والاقتصادي:

- المطلب الأول: تغذية الخلافات السياسية لِبَثِّ التفرقة في الأمّة:
- المطلب الثاني: تفتيت الوِحْدة بإثارةِ الفِتَنةِ المذهبية في الدول الإسلامية:
- المطلب الثالث: تفتيت الدول وتفريق أهلها لنهب ثرواها:

المبحث الثاني: المِعْوَل الإعلامي:

- المطلب الأول: الحملة الإعلامية الغربية لشقِّ الدول العربية:
- المطلب الثاني: أثَرُ الشائعاتِ في تفتيتِ وِحْدةِ الأمّة:
- المطلب الثالث: أثر الشائعات في احتلال الدول وتقسيمها:

المبحث الثالث: المِعْوَل الثقافي والاجتماعي:

- المطلب الأول: دغدغة المشاعر القومية لتمزيق وحدة الأمة:
- المطلب الثاني: إضعاف اللغة العربية وتشجيع اللهجات العامية:

المبحث الرابع: المِعْوَل الأخلاقي:

- المطلب الأول: من وسائل تفتيت الأمة إضعافُ رُوح التديُّن:
- المطلب الثاني: إشاعة الفاحشة من وسائل تفتيت الأمة:

الفصل الأول: مَعاوِلُ تفتيتِ الوِحْدة:

تمهيد: دور اليهود في تفتيت وحدة الأمة:

إنَّ المتأمِّلَ في خُطَطِ الاستِعمارِ الحديث يلحَظ أنَّ دُوَلَ العالَمِ الإسلامي مُستَهْدَفَةٌ بخطةِ التقسيمِ والتفكيكِ منذ زمنٍ بعيدٍ؛ وذلك لأنَّ تفتِيتَ العالَمِ الإسلامي يؤدِّي إلى "إضعافِه، وتبديدِ ثرواتِه، ونَهْبِها، وإنهاءِ قُدراته ومُقاوَمَتِه".[٦٥] ومن المهم: التنبيهُ على حقيقَتَين:

١. أنَّ الخطة الاستعمارية للعالَمِ الإسلامي في القرن الماضي توافقت على هدفين متلازمين: الأول: تقسيم الدول العربية في معاهدة سايكس بيكو (سنة ١٩١٦م) بين بريطانيا وفرنسا،[٦٦] والآخر: تمكين المشروع الصهيوني في (وعد بلفور ١٩١٧م)[٦٧]

---

٦٥ موقع الجمعية الأهلية لمناهضة الصهيونية ونصرة فلسطين. بيان للرد على القرار غير الملزم المقدَّم لمجلس الشيوخ الأمريكي بتقسيم العراق في ٢٠٠٧/٩/٢٦. وهو قائم على القسمة الطائفية: للشيعة والسنة والأكراد.

٦٦ "اتفاقية سايكس–بيكو، اتفاقية سرية أبرمت في مايو ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصريه. بمقتضاها تقاسمت بريطانيا وفرنسا الأراضي العربية بين ايران والبحر المتوسط، فأخذَتْ فرنسا سوريا، وأخذت بريطانيا العراق الجنوبي وحيفا وعكا على البحر المتوسط. وأما الأراضي ما بين المنطقتين فقد اتفق على أن تكون موقعاً لدولةٍ عربيةٍ مُقْبِلةٍ؛ بحيث يخضع القسم الشمالي منها لفرنسا والقسم الجنوبى لبريطانيا. وأما فلسطين فقد اتفق على أن تخضَعَ لإدارةٍ دولية. وسُمِّيَتْ االاتفاقية باسم الدبيلوماسيَّيْن السير مارك سايكس الانجليزي وفرانسوا جورج–بيكو الفرنسي". ويكيبيديا، الموسوعه الحرة.

٦٧ وعد بلفور: تعتبر الرسالة التي بعث بها وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور عام ١٩١٧ إلى اللورد روتشيلد أحد زعماء الحركة الصهيونية في تلك الفترة والتي عرفت فيما بعد باسم وعد بلفور، أول خطوة يتخذها الغرب لإقامة كيان لليهود على تراب فلسطين. وقد قطعت فيها الحكومة البريطانية تعهدا بإقامة دولة لليهود في فلسطين. وفي ما يلي نص الرسالة: وزارة الخارجية في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ١٩١٧، عزيزي اللورد روتشيلد يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته: "إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا

بتوطين اليهود في فلسطين وتشريدِ أهلِها منها. وهذا يؤكِّدُ العلاقةَ الوثيقة بين غَــرْسِ دولة الاحتلال الإسرائيلي في (فلسطين) قلبِ العالَمِ الإسلامي النابِض، وبين تَمزيــق وِحْدةِ الأمة؛ لإشْغالِ العَرَبِ والمسلِمين بالفِتَنِ والحرُوبِ فيما بينَهم؛ وهذا ما تَحقَّقَ لهم على مَدَى ستِّين عاماً مِن التفكُّك والتنازُع؛ بفِعْلِ مَعاوِلِ التفتيت التي سيأتي بيانُها.

٢. والحقيقة الأخرى: أنَّ لليهودِ دَوْراً عظيماً في التخطِيطِ لِتفْتِيتِ الأمة الإسلامِيةِ والقضاءِ على وِحْدَتِها. فإذا تذكَّرْتَ تاريخَ دولةِ الاحــتِلالِ وجرائمَهــا العُدْوانِيّــة؛ استَحْضَرْتَ قولَ الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾،[68] وقولــه عـــز وجـــل: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.[69]

ولا يكاد ذو بَصِيرةٍ يُخطىءُ دَوْرَ اليهودِ في تفتِيتِ وِحْدةِ الأمّة الإسلاميةِ بِمعاوِلَ مختلفةٍ:

○ **منها: الْمِعْوَل السياسي**: بالتحريش بين الدولِ العربية، وإفسادِ العلاقاتِ بين دول الجوار. وإحداثِ الفوضى السياسية في الدول العربية ببثِّ النِّزاعِ بين الأنظمــة والمعارَضة واستِعْداءِ بعضِها على بعض؛ لِتَظَلَّ غارِقةً على الدَّوامِ في المســتَنْقَعِ الأمنــي والتخلُّفِ التنمَوِي.

الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى". وسأكون ممتنا إذا مــا أحطــتم الاتحــاد الصهيونى علما بهذا التصريح. المخلص آرثر بلفور. المصدر: وثائق القضية الفلسطينية نقلاً عن ملف وثائق فلسطين من عام ٦٣٧ إلى عام ١٩٤٩، وزارة الإرشاد القومي، ١/٢١٧ – ٢١٨ من كتاب "وثائق القضية الفلسطينية"، إصدار جامعة الدول العربية.

٦٨ المائدة: ٨٢.

٦٩ المائدة: ٦٤.

○ **ومنها: الْمِعْوَل الاجتماعي:** بمحاربة قِيَمِ الأسْرةِ، وإفساد نظــام العلاقــات الزوجية بافتعالِ معارك بين الرجال والنساء بادِّعاءِ (التمييز ضد المــرأة) في اتفاقيــة (سيداو) وأخواتها؛ للقضاء على البناء الأسري.

○ **ومنها: الْمِعْوَل الأخلاقي:** بِنَشْرِ الانحلالِ، والانسلاخِ من القِيَم الأخلاقيــة، وإشاعةِ الفاحِشة بوسائلِ الإعلام المختلِفة.

○ **ومنها الْمِعْوَل الثقافي:** ببَثِّ النَّعَراتِ وإثارةِ العَصَبيّاتِ، وإيقادِ نارِ الحــربِ بين القوميات المختلفة؛ "وحينما نستَعْرِضُ ما كَتَبَه أعداءُ الأُمّة عن أهدافهم، نجد أنَّ ما ذَكَرُوه لا يخرج عن تمزيقِ الوِحْدة الإسلامية، وإخضاع العالَم الإســلامي للســيطرة الغربية والتحكّم في خيراته".[٧٠]

و"لقد كانت إقامةُ المشرُوعِ الصُّهْيُوني على أرضِ فلسطين سنة ١٩٤٨م بدايــةً لتطوُّرٍ نوعِيٍّ وكَمِّيٍّ في مشروعِ الغِواية الاستِعمارية للأقلّيّــات الدِّينيّــة والقومِيّــة في الشرقِ الإسلامي؛ لمزيدٍ من التفتيتِ للعالَمِ الإسلامي،[٧١] على النحو الذي يُحَوِّلُــه إلى فُسَيْفساءٍ وَرَقِيةٍ مشغولةٍ بالألغام الداخلية المتفجرة فيما بينها؛ وذلك حتى يتحقق الأمن للكيان الصهيوني في المحيط العربي والإسلامي؛ فيقوم بالشراكة والوكالة في مشــروع الهيمنة الاستعمارية الغربية على العالم الإسلامي. وفي التخطيط المعلَن للتطوُّرِ النــوعي والكمِّي لهذه الغِواية الاستعمارية لأبناءِ الأقلّيات الدينية والقومية كي تتحرك مُتحالِفةً مع الاستعمار والصهيونية ضد العروبة والإسلام. وضد وِحْدة الأمّــة وتكامــل دار الإسلام في هذا التخطيط كتب المستشرق الصهيوني "برنارد لويس" **Bernard Lewis** في مجلة البنتــاجون (مجلــة وزارة الــدفاع الأمريكيــة) **Executive Intelligence**

٧٠ التنصير تعريفه أهدافه وسائله لعبد الرحمن بن عبد الله الصالح١/١٠، الطبعــة الأولى، نشــر: دار الكتــاب والسنة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٧١ راجع مقال (مُخطَّط تفتيتِ عالَمِ الإسلام) للدكتور محمد عمارة.

research project داعيا إلى مزيد من التفتيت للعالم الإسلامي مـــن باكســـتان إلى المغرب، على أسس دينية وقومية ومذهبية، وذلك لإنشاء اثنين وثلاثين كيانًا سياســـيًا جديدًا في الشرق الإسلامي.. دعا إلى تقسيم العراق إلى دول ثلاث: كرديـــة وســـنية وشيعية. وتقسيم السودان إلى دولتين: زنجية وعربية. وتقسيم لبنان إلى خمس دويلات: مسيحية وشيعية وسنية ودرزية وعلوية. وتقسيم مصر إلى دولتين: إسلامية وقبطيـــة. وكذلك بقية أنحاء العالم الإسلامي. وذلك ليصبح العالم الإسلامي وفق تعبيره "برجًـــا ورقيًا" ومجتمعات فسيفسائية (مجتمعـــات الموزايـــك Mosaic Society .. ثم قـــال: "ويرى الإسرائيليون: أن جميع هذه الكيانات لن تكون قادرةً على أن تتحد، بل سوف تَشُلُّها خِلافات لا انتهاءَ لها؛ ونظرًا لأنَّ كلَّ كِيانٍ مِن هذه الكِيانات سيكون أضـــعَفَ مِن إسرائيلَ، فإن إسرائيل ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل"![٧٢]

"وعندما بدأت إسرائيل أوائل خمسينيات القرن العشرين تحقيق هذا المخطط على جبهة المارونية السياسية بلبنان تحدث ديفيد بـــن جوريـــون (١٨٨٦-١٩٧٣م) أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني ـــ تحدث سنة ١٩٥٤م ـــ عن: "ضرورة تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات في العالم العربي، وتحريك هذه الأقليات؛ لتـــدمير المجتمعـــات المستقرة، وإذكاء النار في مشاعر الأقليات المسيحية في المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبـــة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامي"!![٧٣] وفي عقد الثمانينيات مـــن القـــرن العشرين نشرت المنظمة الصهيونية العالمية في مجلتها الفصلية "كيفـــونيم" Kivunim ـــ الاتجاهات ـــ عدد ٤ فبراير سنة ١٩٨٢م ـــ أي إبان الحرب الأهليـــة اللبنانيـــة

---

٧٢ محمد السماك (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص١٣١و١٣٣و١٤٣ طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م. نقلا عن: أرشيف المجلس العلمي من موقع الألوكة ٨/١٨٠٨٢، بتاريخ ٢٤/١٠/٢٠٠٨.

٧٣ د. سعد الدين إبراهيم (الملل والنحل والأعراق) ص٧٤٠ ـــ ٧٤٨، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م. (وهو ينقل عن مذكرات موشى شاريت ـــ رئيس وزراء إسرائيل في ذلك التاريخ).

(١٩٧٥ــ١٩٩٠م) ــ فقالت عن هذا المخطط التفتيتي المعلن: [إنَّ تفتيتَ لبنان بصورةٍ مُطْلَقة إلى خمسِ مُقاطَعاتٍ إقليمية هو سابقةٌ لِلعالَمِ العربِي بأسْرِه، بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية! إن دولاً مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منها في المغرب لن تبقى على صورتِها الحالية، بل ستقتفي أثر مصر في انهيارِها وتَفتُّتِها، فمتى تفتَّتَتْ مصرُ تفتَّتَ الباقون! إنَّ رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيدِ مصرَ إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية مصرية، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن: هو مفتاح هذا التطور التاريخي]. وخلصت هذه الاستراتيجية الصهيونية إلى الهدف، فقالت: [74] [إن هذا هو ضمانُ الأمنِ والسلام في المنطقة بأسرِها في المدى الطويل. ففي العصر النووي لا يمكن بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعدًا بَعْثَرَةُ السكان، فهذا دافعٌ استراتيجِي، وإذا لم يحدُثْ ذلك؛ فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود]"![75]

"وفي تسعينيات القرن العشرين، دعا (مركز بارايلان للأبحاث الاستراتيجية) التابع لجامعة بارايلان الإسرائيلية إلى ندوة، عقدت في ٢٠ مايو سنة ١٩٩٢م، وشاركت فيها وزارة الخارجية الإسرائيلية، بواسطة (مركز الأبحاث السياسية) التابع لها، وأسهم فيها باحثون من (مركز ديان) التابع لجامعة تل أبيب؛ وذلك لبحث (الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في منطقة الشرق الأوسط). ولقد ناقشت هذه الندوة أحد عشر بحثًا. وخلصت أبحاثها وتوصياتها إلى: أن هذه الأقليات هي شريكة إسرائيل في المصير، ولابد من أن تقف مع إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية، أو تبدي استعداداً لمحاربتها أو مقاومتها؛ فهي حَلِيفٌ وقوةٌ

---

٧٤ الأقليات بين العروبة والإسلام ص١٤٠ــ١٤٤

٧٥ أرشيف المجلس العلمي من موقع الألوكة ١٨٠٨٢/١٠.

لإسرائيل".[٧٦] هكذا تَمَّ التخطيط لهذا التطوُّرِ النوعي والكَمِّي في الغِواية الاستعمارية الصهيونية للأقليات الدينية والقومية والمذهبيّة في وطنِ العُروبةِ وعالَم الإسلام. وتَمَّ الإعلانُ عن هذا التخطيطِ في الوثائقِ التي قدَّمْنا بعضَ فَقَراتِها. وبدأتْ التطبيقاتُ لهذا التخطيطِ مُتزامِنةً مع إنْشاءِ الكِيانِ الصُّهْيوني على أرضِ فلسطين".[٧٧]

المبحث الأول: المِعْوَل السياسي والاقتصادي:

المطلب الأول: تغذية الخلافات السياسية لِبَثِّ التفرقة في الأمّة:

ويلاحَظُ أنَّ سياسةَ إثارةِ الفِتَنِ الداخلية وإيقاد نار الحربِ ما زالت مُتَّبَعةً في بعضِ الدول الإسلامية : مثل اليمن[٧٨] والسودان[٧٩] ولبنان[٨٠] والعراق،[٨١] ويُراد مِن وراء ذلك تَفْتِيتُها بسياسة (فَرِّقْ تَسُدْ) وتقسيمُها إلى دُوَيْلات متناحِرةٍ؛ ليسهلَ السيطرة عليها؛ مما جعل بعض العلماءَ الغَيُورين يكشِفُون خُطَطَ التقسيم ويُحَذِّرُون منها.[٨٢] فقد "بِتْنا نُدْرِكُ جميعاً أنَّ الأمّةَ تُواجِهُ مُخطَّطاً جديداً لِتَقسيمِ المقسَّم وتفكيكِ المفكَّك".[٨٣]

---

٧٦ ندوة (الموقف الإسرائيلي من الجماعات الإثنية والطائفية في العالم العربي) ص٦ ـ١٠ ، ٢٧. ترجمة الدار العربية للدراسات والنشر ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

٧٧ أرشيف المجلس العلمي من موقع الألوكة ١١/١٨٠٨٢.

٧٨ راجع في خطة تفتيت اليمن: (المشهد السياسي في جنوب السودان ومخاطر النزعات الانفصالية في العالم الإسلامي). د. حسن الحاج علي ود. حمدي عبد الرحمن. ص ١٧٦.

٧٩ وراجع مخطط تفتيت السودان والعالم الإسلامي: في (المشهد السياسي في جنوب السودان ومخاطر النزعات الانفصالية في العالم الإسلامي). د. حسن الحاج علي ود. حمدي عبد الرحمن. ص ١٦٠.

٨٠ حتى أصبح لبنان مثلا في الحروب الأهلية الدامية، وصار مصطلح (اللَّبْنَنة) كلمةً متداولةً في التحليل السياسي.

٨١. بيان للرد على القرار غير الملزم لمجلس الشيوخ الأمريكي في ٢٠٠٧/٩/٢٦ بتقسيم العراق.

٨٢ حذَّرَ الداعية اليمني الشيخ عبد المجيد الزنداني من مخاطر تقسيم بلاده إلى أربع دويلات، وفق مخطط أميركي كانت قد أعلنته وزيرة الخارجية السابقة كوندوليزا رايس. وقال الزنداني في حديث نشرته يومية "أخبار اليوم" شبه الرسمية: إن مخاطر التقسيم قائمة وقد أعلنته رايس باسم "الفوضى الخلاقة"، و"نحن الآن نعيش بداية الفوضى".

ولا بُدَّ أنْ نُذَكِّرَ هنا بأنَّ السودانَ ما إنْ تمكَّنَ مِنْ إنْهاءِ الحربِ في الجنوب؛ حتى فُتِحَتْ له جبهةُ مُواجَهَةٍ جديدةٌ في دارفور؛ وسارَعَ الإعلامُ الغربي بأذْرُعِه الصهيونية إلى تلقُّفِها وصناعةِ أزمةٍ إنسانيةٍ فيها، وبثِّ رُوحِ العصبية والنعرات العرقية بين العرب والأفارقة؛ من أجلِ تدويلِ قضيّة دارفور؛ وتعطيلِ جُهُودِ التنمِية؛ لِيَظَلَّ السودان على الدوام يُلَمْلِمُ جراحَه ويعملُ بسياسةِ إطْفاءِ الحرائق؛ من جرّاء الطعناتِ المتفرِّقة في جَسَدِه الممتَد. ثم بلغَ الأمرُ فتحَ مكتبٍ عَلَنِي في إسرائيل لبعضِ الحركاتِ المتمرّدة في دارفور؛ وفي ذلك دلالاتٌ بليغةٌ عن حَجْمِ التغلغُلِ الصهيوني في السودانِ، ودَعْمِه الصريح لمشاريعِ تفتِيتِ السودان. ويلاحظ هنا أنه ما إن يتحقق تقدُّمٌ في مفاوضات سلام دارفور لإنهاءِ الحرب ومباشرةِ مشاريعِ التنمية؛ حتى يتدخل الْمِعْول الأجنبي ليفتِّت هذا المشروع ــ الذي يجمع أهلَ السودان على كلمةٍ سواءٍ ــ فيَصُدَّ الحركاتِ عن توقيعِ الاتفاق؛ ويدفعَ الأزمةَ باستمرارٍ نحو التصعيد والتدويل، وما احتضان قادة التمرد ورعايتهم وتوفير الدعم المشروط لهم إلا دلائل على حجم الاستهداف

وأضاف أن "الرئيس علي عبد الله صالح أخبر بذلك أيضا وحذر منه، وأخبرنا عن إمكان أن تكون اليمن بداية صوملة أو تكون عرقنة كالعراق، أو ستصبح الحرب من طاقة إلى طاقة يعني الفوضى، وهذه الفوضى هي هدف الاستعمار". وأوضح أن تقسيم اليمن إلى أربع دويلات نشرته وزارة الدفاع الأميركية التي وضعت خريطة ضمت الشرق الأوسط الكبير الذي يقوم على تقسيم الدول العربية، وأعلن في حينه وتحدث عنه الناس (تقسيم المقسّم) وتقسيم البلاد العربية وإضعافها حتى لا تكون هناك دولة قادرة على أن تتخذ موقفا قويا يوما ما ضد إسرائيل. وحول مخاطر المواجهات في جنوب اليمن طالب الزنداني بوضع حلول لمطالب المحتجين وإنصافهم من المظالم حتى لا ينفرط عقد الوحدة اليمنية ويتحول اليمن إلى دويلات. (موقع الجزيرة نت).

٨٣ والمتابع لتصريح وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة (كوندوليسا رايس) في صيف عام ٢٠٠٦ يجد بداية تسويقٍ لمشروع (شرق أوسط جديد) مع تقديم قرارٍ غير ملزم لتقسيم العراق في مجلس الشيوخ الأمريكي في ٢٠٠٧/٩/٢٦.

والتفتيت الذي يُراد للسودان؛[٨٤] ليظلَّ بؤرةً للصراعِ والتراع مُكبَّلاً عــن النـــهوضِ التنموي.

المطلب الثاني: تفتيت الوِحْدة بإثارةِ الفِتَنةِ المذهبية في الدول الإسلامية:

لا شك أنَّ توسيعَ عناصرِ الاختِلافِ وبثَّ الشّقاق بين الأمّة مِن وســائلِ التجزئــة والتفتيت، ولم يقتصر الأمر على التفرقة السياسية بين الحكومات والمعارَضــة في عالَمِنــا الإسلامي؛ فقد اعتمدوا كذلك استِعْداءَ بعضِ الطوائفِ الدِّينيّةِ المختلِفة علــى بعــضٍ؛ ليكونوا في تناحُرٍ بغيضٍ وتنازُعٍ عريضٍ وفَشلٍ ذريعٍ بعد أنْ كانــت تعــيشُ في ســلامٍ وأمانٍ، فأثاروا فيهم الفِتَنَ المذهبيّة والنَّزَعاتِ العِرْقِيّة؛ فكان الحصادُ الْمُرُّ في لبنان علــى سبيل المثال: أنْ مزَّقَتْه الحروبُ الأهلية ﴿سِنِينَ عَدَدًا ﴾،[٨٥] وقسَّمتْه مشاريعُ التفتيــتِ الإسرائيلية ﴿طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾.[٨٦] ولا يخفى ما يجري في اليمن من إثارةِ الفــتنِ المذهبيــة في صَعْدَة مع الحوثِيِّين، وإحداثِ خروقٍ للهدنة؛ ليتجدد القتال ويسقط الاتفاق! وما يجري منذ شهورٍ في جنوبِ اليمن من تصعيد المعارضة من الحراك الجنوبي وصــعود دعــوات إعلاميةٍ شاذةٍ للانفصال عن الوِحدة اليمنية؛ وكل ذلك بغرض تفتيتِ الــيمنِ وتــوفيرِ شُروطِ الوُجودِ العسكري فيه؛ للسيطرة على القرن الإفريقي. وأما في جنوب الســودان فقد جرى غَرْسُ الكراهيةِ والأحقادِ العِرْقِيّة، واستِعْداءُ الجنوبيين على الشماليين؛ حــتى بَلَغَ الأمرُ حدَّ الإقناعِ بِفَصْلِ جنوبِ السودانِ وإقامةِ دولةٍ تُوَلِّي وَجْهَها شــطرَ أعــداءِ السودان، وكذلك ما جرَى في دارفور مِن صناعةِ عناصر فتنةٍ بالنعراتِ القبلية والترعاتِ

---

٨٤ والذي بلغ حدَّ مهاجمة العاصمة السودانية؛ مما يؤكد خطورة الاستهداف.

٨٥ الكهف: ١١.

٨٦ الجن ١١.

العرقية باستعداءِ القبائلِ على بعض؛ بالرغم من المرجعيّة الدينية الواحدة؛ لِتُوجِّهَ معاولُ الهدمِ والتفتيت (خلافاتٍ رَعَويّةً) بسيطةً حول الماء والكلأ إلى (نزاعاتٍ قبليةٍ ونعراتٍ عِرقيةٍ) مُفتَعَلةٍ بين القبائل المتجاورة والمتآلفة في سلامٍ اجتماعيٍّ وحسن جوارٍ؛ سرعان ما يَفِيءُ مِن الخلافات الرَّعويَّةِ إلى الأخوّة الجامعة.

ونؤكد هنا أن "وسائل التجزئة كثيرةٌ ومختلفةٌ: لقد عمدوا إلى التجزئة والتفتيت بعناصر الاختلاف السياسي، ثم بعناصرِ الاختلافِ الطائفي، وذلك بإلقاءِ جرثومةِ الخلافِ في العقائد، ثم بعناصِرِ الاختلافِ المذهبي، وذلك بتشجيعِ التعصبِ المذهبي وبتغذيتِه ضدّ المذاهبِ المخالِفة، وقد لعبَتْ هذه العناصرُ دورَها في جميعِ الشعوبِ الإسلامية على اختلافِ قومياتِهم. ثم عمدُوا إلى التجزئة بعناصرِ الاختلافِ العِرقي والقومي واللغوي، مع تمكينِ التجزئة بعناصرِ الاختلافِ الأخرى؛ حتى تصطرعَ فيما بينَها عناصِرُ الشِّقاقِ المختلِفة؛ لتزيدَ منه وتُمكِّنَ له. ثم أوْغَلُوا في التجزئة بعناصِرِ الاختلافِ الإقليمي بين أهل الأقاليم التي تجمعها عقيدةٌ واحدةٌ، وقوميةٌ واحدةٌ، ولغةٌ واحدةٌ. ثم انتقلوا إلى التجزئة بعناصرِ الاختِلافِ القُطري، والاختلاف بين بلدٍ وبلدٍ داخل إقليمٍ واحدٍ أو قطرٍ واحدٍ. وهكذا تتسلسَلُ هذه العناصرُ حتى تصِلَ إلى عناصِرِ الاختلافِ الأُسَرِي، ثم إلى عناصرِ الاختِلافِ الشخصي داخل الأسرةِ الواحِدة، كل ذلك بجرثومةِ الأنانية التي تتسع حيناً وتضيق حيناً آخر".[٨٧]

وما زال علماءُ الأمة الغيورون يحذِّرون من الاستجابةِ للفتن والنزاعاتِ التي تُفتِّتُ الأمة؛ منبِّهين على أنَّ "الأعداء المتربِّصِين بالأمّة يُغَذُّون هذه الاختِلافات، ثم يتحيَّنُون الفرصة للانقضاض عليها، ولقد أصبحت هذه السياسة من أقوى وأشدِّ الأسلحةِ فتكاً بالأمة يستخدمها الأعداء في حربنا، وانظروا إلى ما يجري في العراق والسودان وكيف

٨٧ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير والاستشراق والاستعمار لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ٢٨٩/١.

يبحث الأعداء عن مبررات للتدخل والسيطرة والتحكم في مقدرات الأمة ونهب ثرواتها. وما كان لهم أن يحققوا شيئاً من ذلك ولن يستطيعوا ما كانت الأمة قوية متماسكة متعاونة موحدة في أهدافها ومنطلقاتها معتصمة بكتاب الله متبعة لرسول الله ﷺ... فعلى عقلاء الأمة ومسئوليها أن يكونوا مدركين للأمور على حقيقتها وأن يتعاملوا مع الأحداث تعاملاً واعياً مسئولاً، بعيداً عن الرعونة والطيش والاستخفاف. نسأل الله تعالى أن يدفع عن بلادنا وسائر بلاد المسلمين مُضِلات الفتن، وأن يعصمنا بالإسلام قائمين وقاعدين، وأن لا يشمت بنا الأعداء الحاقدين".[٨٨]

المطلب الثالث: تفتيت الدول وتفريق أهلها لنهب ثرواتها:

لا شك أنَّ الْمِعْوَلَ الاقتِصادي ذو علاقةٍ وطيدةٍ بالْمِعْوَلِ السياسي؛ لأنه مرحلةٌ تابعةٌ للسيطرة السياسية أو العسكرية؛ ولذلك نُفِّذَتْ خُطَطُ استِنْزافِ ثَرَواتِ العراقِ بعد الاحتلال مباشرة. وهكذا الحال في أفغانستان حيث اكتشِفَتْ ثرواتٌ باطنيّةٌ ضخمةٌ؛ مما سيُطِيلُ مُدّةُ الاحتِلال بلا شك؛ وهذا يؤكّد أنَّ عمليّاتِ التنقِيبِ عن الثرواتِ في العالَم الإسلامي كانت مُترافِقةً ومُتوافِقةً مع الاحتلالِ العسكري؛ لِنَهْبِ الثرواتِ الاقتِصاديةِ بالإضافة إلى السيطرة السياسية والعسكرية.

وفي نموذج تفتيتِ العراقِ وتفريقِ شعبِه طائفيا ومذهبيا: كانت المطامعُ الاقتصادية للاحتلال في وَضْعِ اليدِ على ثَرَواتِ العراقِ النفطِية الهائلة، مُقْتَرِناً بالهدفِ السياسي الاستراتيجي: وهو تأمينُ إسرائيل من خطرِ القوةِ العسكريةِ المتنامِية في العراق، والحيلولة دون أيِّ استِهدافٍ يُمْكِنُ أنْ تُمَثِّلَه برامِجُ العراقِ النوويّة الطَّمُوحة؛ فكان ضَرْبُ مُفاعِلِ (تموز) مبكّرا، ثم تتالت الحروبُ المدمِّرة والمدبَّرة مع إيرانِ، ثم استدراج العراق إلى مُغامرة اقتحام الكويت، ثم الحروب في الخليج العربي؛ واقتحام الجيوش

٨٨ موسوعة فقه الابتلاء ٤/١٨٥.

الأجنبية أهمَّ منطقةِ استراتيجية في العالَم، لتتلوها مرحلةُ التدخل العسكري واحـــتلال العراق، وتحريك مَعاوِلِ التفكُّكِ الداخلي وتغذية الانقِسام الطائفي والمذهبي؛ ليتحَوَّلَ العراق الموحد من مشروع النهضة والتنمية، إلى الانقسام الطائفي، وخدمـــة المصـــالح الكردية والشيعية والسُّنّية؛ وما رأيناه من المذابح التي تحمل بَصَماتِ الحروب الأهليـــة والقتل بسبب الهوية الطائفية يؤكد الأيادي الصهيونية[89] الملطخـــة في فتنـــة العـــراق المذهبية؛ لتسهيل نهب ثرواته وتقاتُلِ أبنائه في آنٍ واحد؛ فصار التعدُّد المذهبي والتنوُّع الثقافي بهذه الاستجابة للفتنة الطائفية وَبالاً على الأمة ومِعْوَلاً لِهَدْمِ وِحْـدةِ العـراق ونَهْبِ ثرواتِه. وتفتيت العراق درسٌ بليغٌ للأمة بعد دروس الصومال ولبنان!

المبحث الثاني: المِعْوَل الإعلامي:

المطلب الأول: الحملة الإعلامية الغربية لشقِّ الدول العربية:

فالحملة الإعلامية الغربية تتبع نهجاً متواصِلاً لشقِّ الدولِ العربيّة والإسلامية على الدوام، وإثارةِ الخلافات بينها، وتقسيمِها بسياسة الترغيب والترهيب إلى دُولِ اعتِدالٍ ومُمانَعة،[90] وتصِفُ بعضَها بالانتماءِ لـ(مِحْوَر الشر)، وتنعَت بعضَها بـــ (الـــدول الداعِمة للإرهاب)، وغير ذلك من المصطلحات الإعلامية[91] التي ترسِّخُ الانقسامَ بـــين

---

٨٩ وهل كان احتلال العراق إلا تأمينا لإسرائيل ومداً لهذا السرطان في قلب العالَم الإسلامي.

٩٠ وهذا تصنيف سياسي وإعلامي يقسم الأمة بسياسة الترغيب والترهيب لتشجيع الدول المتعاونة والتنديد بالدول المتمرِّدة.

٩١ قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في كتابه القيم: (معجم المناهي الشرعية): "قال شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز أثابه الله تعالى: "مما يلاحظ في هذه الأعوام – أي: ١٤١٢ هـــ وما بعده – بشكل خاص أن كثيراً من وكالات الأنباء العالمية التي تخدم مخططات أعداء الإسلام، وتخضع لمراكز التوجيه النصراني والماسوني، تخطط بأُسلوب ماكر؛ لإثارة العالم كله ضد ما يسمونه: (الأُصوليين)، وهم يقصدون بذلك الذمَّ والقدح في المسلمين المتمسكين بالإسلام على أُصوله الصحيحة، الذين يرفضون مسايرة الأهواء، والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة. وقد وقع بعـــض

الدول العربية، وتُضْعِف موقفَها العامَ وتُفرِغ القِمَمَ العربية من القرارات التي يرتفع بها القادةُ إلى مستوى طُموحِ شُعوبِهم؛ فتزداد الهوةُ بين الدول العربية فيما بينَها مِن ناحيةٍ، وبين الحكوماتِ العربيةِ وشُعوبِها من ناحيةٍ أخرى.

المطلب الثاني: أَثَرُ الشائعاتِ في تفتيتِ وِحْدةِ الأمّة:

لا ريبَ أنَّ للشائعاتِ أثَراً عظيماً في تفتيتِ وِحْدةِ الأمّة وتفريقِ الصّفِّ الإسلامي، كما قال عز وجل: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.[92] وقال جلَّ جلاله: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾،[93] وقال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾.[94] ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هم الذين يبثُّون الشائعات الكاذبة وينشرون

الإعلاميين المسلمين في مصيدة الأعداء، وأخذوا ينقلون تلك الأخبار المعادية للإسلام، وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها، أو غرض في نفوس بعضهم، فكانوا بفعلهم هذا، أعواناً للأعداء على الإسلام والمسلمين، بدلاً من قيامهم بواجب التصدي لأعداء الإسلام، وإبطال كيدهم، ببيان أهمية الرابطة الدينية والأُخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية، وأن الأخطاء الفردية التي لا يسلم منها أحد، لا ينبغي أن تكون مبرراً للتشنيع على الإسلام والمسلمين، والتفريق بينهم) انتهى". معجم المناهي اللفظية ومعه فوائد في الألفاظ للشيخ بكر أبو زيد ٤٤/٢.

٩٢ التوبة: ٤٧– ٤٨.

٩٣ سورة النساء ٨٣.

٩٤ الأحزاب: ٦٠– ٦٢.

الفتنة والفوضى، قال ابن كثير رحمه الله: "﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني: الذين يقولون: (جاء الأعداء) و(جاءت الحروب)، وهو كذبٌ وافتراءٌ".[٩٥] وقال القرطبي رحمه الله: "﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ قومٌ كانوا يخبرون المؤمنين بما يَسُوءُهم من عدوِّهم، فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ: إنهم قد قتلوا أو هزموا، وإن العدو قد أتاكم، قال قتادة وغيره. وقيل كانوا يقولون: أصحاب الصفة قوم عزاب، فهم الذين يتعرضون للنساء. وقيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبا للفتنة. وقد كان في أصحاب الإفك قوم مسلمون ولكنهم خاضوا حبا للفتنة. وقال ابن عباس: الإرجاف التماس الفتنة، والإرجاف: إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به... وقد أرجفوا في الشيء: أي خاضوا فيه... فالإرجافُ حرامٌ؛ لأنَّ فيه إذايةً؛ فدلَّتْ الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف. وقوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: لَنُسَلِّطَنَّك عليهم؛ فتستأصلهم بالقتل".[٩٦] وقال ابن عاشور رحمه الله: "الإرجاف: إشاعةُ الأخبار. وفيه معنَى كَوْنِ الأخبارِ كاذبةً أو مُسيئةً لأصحابِها يُعيدونَها في المجالسِ ليطمئن السامعون لها مرةً بعد مرة بأنها صادقة؛ لأنَّ الإشاعة إنما تقصَدُ للترويج بشيءٍ غير واقع أو مما لا يصدق به لاشتقاقِ ذلك من الرَّجْف والرَّجَفان وهو الاضطراب والتزلزل. فالمرجِفُون قوم يتلقون الأخبار فيحدثون بها في مجالس ونواد ويخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل. ومعنى الإرجاف هنا: أنهم يرجفون بما يؤذي النبيء ﷺ والمسلمين والمسلمات، ويتحدثون عن سرايا المسلمين فيقولون: هزموا أو أسرع فيهم القتل أو نحو ذلك لإيقاع الشك في نفوس الناس والخوف وسوء ظن بعضهم ببعض. وهم من المنافقين والذين في قلوبهم مرض واتباعهم وهم الذين قال الله فيهم ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ

---

٩٥ تفسير ابن كثير /دار طيبة ٤٨٢/٦-٤٨٣.

٩٦ تفسير القرطبي ٢٤٥/١٤-٢٤٦.

﴿ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾؛[٩٧] فهذه الأوصافُ لأصْنافٍ مِن الناس. كان أكثرُ المرجِفِين من اليهودِ وليسُوا من المؤمنين؛ لأنَّ قولَه عَقِبَه: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لا يُساعِدُ أنَّ فيهم مؤمنين".[٩٨]

ورحِمَ اللهُ الشيخَ ابنَ باز؛ فقد حذَّرَ من خطورة الشائعاتِ في التفريق بين المسلمين، وقال: "الواجب الحذر؛ فدعاة الباطل كثيرون، والمشيعون للباطل كثيرون، فالواجب التثبُّتُ وعَدَمُ الإصْغاء إلى أهلِ الباطِلِ والإشاعاتِ الباطلة. وقد أدَّبَ الله عبادَه ووَجَّهَهم إلى الخير، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾[٩٩] تبينوا: أي تثبَّتُوا. والجاهل والمجهول حكمُه حكمُ الفاسق فلا بُدَّ من التثبُّتِ؛ فإذا كنتَ تجهلُ حالَه فقد يكون فاسقا، أما إذا كان ثقةً معروفا بالإيمان والتقوى يؤخذ بِخَبَرِه لكِنْ على الطريقة الإسلامية؛ فيعمل بما فيه بالتوجيه الشرعي، إن كان ناصحا قُبِلَتْ نَصِيحَتُه، وإنْ كان مُرْشِدا إلى شيءٍ ينفع أُخِذَ منه، وإنْ كان مُحَذِّراً قُبِلَ منه، وهكذا كما نقبل الحديث من رواة الأخبارِ الثِّقاتِ عن النبيِّ ﷺ ومن المصلِحِين. فالدعاة إلى الخير الموثوق بهم يؤخذ بأخبارهم وينتفع بها على الطريقة السليمة وعلى الوجه الشرعي مع التثبت في كل شيء... أما المجهول والفاسق فيُتَثَبَّت في خبره ولا يُعْمَل بخبره حتى تقوم الدلائل على صحته وصدقه".[١٠٠]

ولخطورةِ الشائعاتِ على استقرارِ المجتمع؛ نزلت آياتٌ كثيرةٌ في قصة الإفك، في سِياقٍ طويلٍ من سورة (النور)؛ تُعاتِبُ الصحابةَ على استِماعِ بعضِهم الشائعات في شأن أمِّنا الطاهرة عائشة رضي الله عنها وعدمِ مسارعتِهم إلى تكذيبِ أحاديثِ الإفك:

---

٩٧ سورة النساء ٨٣.

٩٨ التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١/٣٣٠.

٩٩ الحجرات: ٦.

١٠٠ مجموع فتاوى ابن باز ٩/٢٧١.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)﴾.[١٠١] قالت عائشة رضي الله عنها: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ الْعَشْرَ الآيَاتِ كُلَّهَا).[١٠٢] فقد علَّمَتْ هــذه الآيــاتُ الصــحابةَ أنْ لا يُصدِّقُوا الشائعاتِ عند سَماعِها، كما روتْ أمُّنا عَائِشَةُ أَنَّ رَسُــولَ الله ﷺ: (خَطَــبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي مَا عَلِمْــتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ؟ وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بالأَمْرِ قَالَتْ: يَا رَسُــولَ الله أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي، فَأَذِنَ لَهَا وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَــارِ:[١٠٣] ﴿مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)﴾).[١٠٤]

---

١٠١ النور: ١١-١٩.

١٠٢ صحيح البخاري ٦/١٣١.

١٠٣ قال ابن حجر رحمه الله: "قائل ذلك من الأنصار أبو أيوب رواه الحاكم في الإكليل وغيره من طريق بن إسحاق والواقدي وغيرهما والطبراني في مسند الشاميين والآجري في طرق حديث الإفك كلاهما من طريق عطاء الخرساني عن الزهري عن عروة عن عائشة وروى أيضا عن أبي بن كعب أنه قال ذلك لامرأته أم الطفيل رواه الحاكم أيضا من طريق الواقدي وروى عن قتادة بن النعمان أيضا نقل عن ابن بشكوال ولم أره في كتابه كتاب التوحيد". فتح الباري لابن حجر ١/٣٤٣-٣٤٤.

١٠٤ صحيح البخاري ٩/١٣٩، حديث ٧٣٧٠.

فهذه الفِتنةُ التي قامَتْ على إشاعةٍ أطلقَها زعيمُ المنافقين عبدُ الله بن أُبَيٍّ بن سَلُول كادت أنْ تَعْصِفَ باستِقرارِ مجتمَعِ المدينة وتُعِيدَ الأوسَ والخزرجَ إلى تاريخِ الحروبِ من جديد؛ وهي شائعةٌ ذاتُ سقفٍ سياسيٍّ عالٍ؛ إذْ تستَهْدِفُ بيتَ النُّبُوَّة: بيتَ رئيس الدولة؛ ففي هذه الشائعة مِعْوَلان: سياسيٌّ وأخلاقيٌّ؛ ولهذا قام النبيُّ ﷺ للأمرِ بنفسه وقَدَرَه قَدْرَه وعرَفَ من يقف وراء الشائعات من المنافقين، وخَطَبَ الناسَ على المنبر، فدَحَضَ الشائعاتِ وأوْضَحَ للناسِ الحقائق: كما روى البخاري رحمه الله في باب (قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ وَمَا عَلِمْتُ بِهِ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فِيَّ خَطِيبًا فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا[١٠٥] أَهْلِي وَايْمُ الله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبَنُوهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلاَ يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلاَ غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلاَّ غَابَ مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ ائْذَنْ لِي يَا رَسُولَ الله أَنْ نَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْخَزْرَجِ وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ مِنْ رَهْطِ ذَلِكَ الرَّجُلِ فَقَالَ كَذَبْتَ أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ الأَوْسِ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَرٌّ فِي الْمَسْجِدِ).[١٠٦]

ولو تدبَّرْنا ما حَدَثَ في دارفور من الشائعاتِ الإعلامية ومن الدعايات الْمُغْرِضة ومن الإفك العريض؛ فقد بلغ الأمرُ ادِّعاءَ (التطهير العِرْقي) و(الجرائم ضد الإنسانية)، ثم تطور الأمرُ بعد حملاتٍ شعواءَ ــ قادَتْها منظماتٌ صهيونيةٌ تُعادي السودان وتخشى أن يصير دولةً كبرى بالتنمية الصناعية والزراعية وموارد النفط ــ فتمَّ اتهام رأسَ

١٠٥ قوله (أبنوا أهلي) بتخفيف الباء: أي اتهموهم وذكروهم بالسوء، ووقع عند الأصيلي بالتشديد قال ثابت: التأبين ذكر الشيء وتتبعه والتخفيف بمعناه. فتح الباري لابن حجر ١/٧٤.

١٠٦ صحيح البخاري ٦/١٣٤، حديث ٤٧٥٧.

الدولة بالتُّهَمِ الكاذبة التي لا تقوم إلا على التسويق الإعلامي للإشاعات في وسائل الإعلام المختلفة. ولولا فِقْدانُ أحْرارِ العالَم ثِقَتَهم في (المحكمة الجنائية) ومَا يُحرِّكها من الأصابِعِ الصهيونية؛ لصدَّقُوا هذه الشائعاتِ لِضخامةِ الحملاتِ الإعلامية وكثافةِ الشائعاتِ الكاذبةِ بالليل والنهار.

المطلب الثالث: أثر الشائعات في احتلال الدول وتقسيمها:

من أوضح النماذج لأثر الشائعات الإعلامية في احتلال الدول ونهب ثرواتها: استعمال الإشاعات المتتالية وإطلاق دعاوى امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل، وبعث فرق التفتيش المتتالية، وتهويل الخطر العراقي بحملة إعلاميةٍ ضخمة؛ إلى أن صارت القناعة بوجود أسلحة الدمار في العراق رأيا عاما دولياً؛ فاستغلوا حملات التضليل الإعلامي الواسعة في تسريع التدخل الأجنبي في العراق؛ ليكون درس احتلال العراق في ٢٠٠٣م بكذبة إعلامية كبيرة، ثم إعدام رئيسه في ٢٠٠٦م، وما حصل من استِنْزافِ ثرواتِه عِبْرةً للدولِ الإسلامية المنقَسِمة.

المبحث الثالث: المِعْوَل الثقافي والاجتماعي:

المطلب الأول: دَغْدَغَة المشاعِرِ القوميّة لتمزيق وِحْدةِ الأمّة:

إن المتأمِّلَ لِدَوْرِ الاستِعمارِ في هَدْمِ وِحدةِ المسلمين: يلاحظ سياسة دَغْدَغَة العواطف القومية لِهَدْم الوحدة؛ وهذا ما حصَلَ في القضاءِ على الدولة العثمانية بتشجيعِ الأتراك والعرب على التخلص من الوحدة الإسلامية لصالِحِ القومية التركية

للأتراك، والقومية العربية للعرب.[١٠٧] فإذا ظهر مُدَغْدِغُو العواطفِ القومية بين ذَوِي الأعراق الهندية مثلاً أثاروا فيهم القومية الهندية، وأظهروا حماستهم للحضارة الهندية القديمة ولآدابِها وعلومِها ولغتِها السنسكريتية الأولى، ونبشوا المقابر المهجورة منذ قرون، واستخرجوا منها العظام الباليات، وربطوا في أفكار الهنود التأخر عن ركب الحضارة الحديثة بصلتهم بالإسلام، وبنفوذ اللغة الأردية التي وحَّدَتْ شعوبَ هذه البلاد إثر الفتح الإسلامي تحت رايةٍ واحدةٍ، والتي كتبت بها علومهم وآدابهم التي تَصِلُهم بالإسلام والمسلمين، في حين أنهم لا يثيرون مثل ذلك في بلاد وثنية بحتة مختلفة عن ركب الحضارات تخلفاً فاحشاً يقدر بعشرات القرون، مع أنها ما زالت محافظة على قومياتها ولغاتها القديمة. وإذا ظهروا مثلاً في شمال إفريقية أثاروا بين سكانها القومية البربرية، وتظاهروا بالحماسة للهجاتها، وأسرعوا يضعون مختلف الكتب التي تضمن دراسة اللهجات البربرية وقواعدها، لإحلالها محل العربية الفصحى، بينما يكتب هؤلاء المستشرقون التقارير السرية إلى حكوماتهم الاستعمارية، يقولون فيها كما جاء في تقرير بعضهم: "من الواجب صَرْفُ الجهدِ إلى التقليلِ من أهمّية اللغةِ العربيّة؛ لتحويل الناس عنها، بإحياء اللهجات المحلية، واللغات العامية في شمال إفريقية، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم، وحتى يمكن التغلب على عواطفهم..".[١٠٨] "فإذا ظهروا في مصرَ دَغْدَغُوا في المصريِّين العواطِفَ الفرعونية، وأحْيَوْا بينهم تاريخ رَمْسِيس، وبُناةِ الأهرامات، وأمجادَ القرونِ الأولى السابقة للإسلام، وزعموا لهم أن العامّيّة المصرية ذاتُ جذورٍ قديمةٍ لا صِلَةَ لها بالعربيّة الفصحى، وأن تقدُّمَهم الحضاري الآن متوقِّفٌ على إحياءِ كلِّ ما له

١٠٧ راجع بالتفصيل: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير والاستشراق والاستعمار لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني (الفصْل التاسع: الغزاة وأعمالهم في هدم وحدة المسلمين). وقد تعرض كذلك إلى دغدغة العواطف القومية القديمة للتحويل عن العربية الفصحى كما سيأتي في المطلب القادم.

١٠٨ أجْنِحَةُ المَكْرِ الثَّلَاثَةْ وَخوافيهَا: التبشير، الاستِشراق، الاستِعمار لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني: ١/٣٥٤،

صِلَةٌ بالآثار الفرعونية: مِن علومٍ وآدابٍ وفنونٍ، ونَصَحُوهم بأنْ يَهْجُرُوا العربيّةَ الفُصْحَى. وبثُّوا بينَهم مَن يحمل هذه الدسائس، وأرادوا أن يحمل حزب (مصر الفتاة) مثل المهمة التي حملها من قبل حزب (تركيا الفتاة) وجمعية (الاتحاد والترقي)، إلا أن معظم جهودهم قد كانت تبوء بالفشل عن تحقيق كامل الغاية المرسومة، ولا تعطيهم كامل الثمرات التي يرجونها، بفضل قادة الدفاع الذين تصدوا لفضح مؤامرات الغزاة، على اختلاف العوامل المحرضة لهم على ذلك ، فكان منهم عوامل دينية، واحتل أصحابها صف الدفاع الأول، وكان منها عوامل عربية، واحتل أصحابها صف الدفاع الثاني.[١٠٩] وإذا ظهروا في سورية ولبنان والأردن حاولوا أنْ يُدَغْدِغُوا في سكّان هذه البلادِ عواطِفَ القومية السورية الواسعة، مُسْتَغِلِّين أمَلَ شُعوبِ هذه البلدان بالوِحْدةِ الكبرى، التي يرَوْن مِن خطواتِها أنواع الانضمام الجزئي مهما كان نوعه، وفي ضمن هذه القومية السورية يحاولون أن يحيوا قوميات قديمة سابقة للفتح الإسلامي، وأن ينبشوا المقابرَ المهجورة عن عظامِها النَّخِرَة البالِية، كالفِينيقِيّة والكنعانية، إلا أنَّ جهودَهم في إحياء القوميات السورية قد باءت بالفشل أيضاً، فلم يكتب لها النجاح الذي يرجونه منها، ولم يؤت الثمرة المتوخاة، للتناقض التام بين شعوب هذه البلدان وبين هذه الدعوة التي ولدت ميتة، بعد أن كانت هذه البلدان صاحبة لواء الدعوة إلى وحدة الأمة العربية، يضاف إلى ذلك ارتباط معظم سكانها بالإسلام ارتباطاً عاطفياً قوياً.[١١٠] وإذا ظهروا بين الأكراد أثاروا فيهم القومية الكُرْدِية، وهو أمرٌ لا بد أن يظهرَ مع التعصُّب للقومية العربية، وقالوا هم: هؤلاء العرب قد أحْيَوا قوميتهم العربية غير مبالين بالإسلام، فما بالكم أنتم لا تفعلون مثل ذلك، فتحيون قوميتكم الكردية، وتعملون لها، وتُبْرِزُون كِيانَكم المستقِل بين شُعوبِ الأرض. وكذلك يفعلون، ففي كل

١٠٩ أجْنحَةُ المَكْرِ الثَّلَاثَةْ وَخوافيهَا: التبشير، الاستِشراق، الاستِعمار ٣٥٧/١.
١١٠ أجْنحَةُ المَكْرِ الثَّلَاثَةْ وَخوافيهَا: التبشير، الاستِشراق، الاستِعمار ٣٥٧/١.

شَعْبٍ لهم وجهٌ، وفي كلِّ أمةٍ لهم طريقةٌ، وفي كلِّ حالةٍ لهم لَبُوسٌ. والهدف الذي يرمون إليه على اختلاف وجوهِهم واحد، والغاية التي يعملون لها واحدة، ألا وهي هدم الإسلام، وإبعاد الشعوب الإسلامية عنه، وتفتيتُ وِحدةِ هذا الجيلِ المنيع الذي يضمُّ الشعوب الإسلامية برابطةِ الإسلام القويّة المتينة. ١١١

المطلب الثاني: إضعاف اللغة العربية وتشجيع اللهجات العامية:

ويلتحق بالمعاوِل الثقافية: إضعافُ اللغة العربية: لغة القرآن والسنة النبوية؛ فإن في إهمالِها إضعافاً لعلاقتِنا بالقرآنِ والسُّنّة النبويّة. وقد "سَعَتْ مخططات قوى الهيمنة التي استهدفتها بالعداء إلى أن تحل محل اللغة العربية الفصحى عاميات عربية. ولا شك في أن ما قامت به المجامع اللغوية من جهود للحفاظ على اللسان العربي والارتقاء باستخدامه كان له فضل خاص في احترام الفصحى والالتزام بها في التعبير في الموضوعات الحيوية في وسائل الإعلام. وها نحن نرى ما زرعته هذه الجهود يخرج شطأه ويستوي على سوقه. ويبقى أن تنجح هذه الجهود في تطوير مناهج التربية والتعليم وأساليب تعلم اللسان الفصيح لتجاوز ما يعانيه الطلاب من تلوث لغوي. وكذلك في تعريب العلوم". ومن المهم التنبيه على أن "الصلة الوثيقة بين التعليم والإعلام تدعونا حين ننظر في (الفصحى والعامية في وسائل الإعلام) إلى النظر في حال الفصحى والعامية في التعليم. وهناك انطباع بأن المدرسة في غالب الأقطار العربية لا تولي العناية الكافية لفصاحة اللسان، وأن مناهج التعليم لم توفق في تعليم اللغة العربية

---

١١١ أجْنِحَةُ المَكْرِ الثَّلَاثَةْ وَخوافيهَا: التبشير، الاستِشراق، الاستِعمار ٣٥٧/١.وقد ذكرت هذا الكلام مع طوله لأهميته البالغة في معرفة وسائل تفتيت الأمة.

السليمة، وأن موجة تعليم لغات أجنبية اقترنت بإهمال تعليم اللغة الأم. والأسباب وراء هذا الحال كثيرة تتعلق بقيادات التعليم وواقع المدرس داخليًّا وبمؤثرات خارجية. ولذا فإننا نشهد عند كثيرين من الطلاب (تلوثًا لغويًّا) على حد وصف الأستاذ الدكتور كمال بشر للرطانة الشائعة بينهم". [١١٢]

وقد ارتبطَتْ سِياسةُ دَغْدَغَةِ العواطِفِ القوميّة بسياسة تشجيع اللهجات العامية والتحويلِ عن العربيّة الفُصْحَى. قال عبد الرحمن حسن حبنَّكَة الميداني: "استغلَّ الغُزاة مِن أعداءِ الإسلام والمسلمين دَغْدَغَةَ العواطِفِ القوميّةِ القديمة؛ لِتَحْويلِ الشعوبِ الإسلامية عن اللغةِ العربيّة الفُصْحَى، وكان لِدَغْدَغَةِ هذه العواطِفِ وُجُوهٌ كثيرةُ المكْرِ، يَحْمِلُها الأُجَراءُ، وينخَدِعُ بها كثيرٌ مِن أصحاب الرُّعُونات، الذين يندَفِعُون بالانفِعالات المؤقَّتة، التي يَصْطَنِعُ الشياطينُ لها الظّروفَ والأجواءَ والبيئاتِ النفسيةَ والفِكْريةَ والاجتماعيةَ المناسِبة". [١١٣] وما نسمعه عن الرغبة في إحياء اللهجات العامية مثل النبش عن الأمازيغية في بعض الدول المغربية من هذا القبيل.

المبحث الرابع: المِعْوَل الأخلاقي:

المطلب الأول: مِن وسائل تفتيتِ الأمةِ إضْعافُ رُوحِ التديُّن:

وهذا من عند أنفُسِنا ومن قُصُورِنا وما عمِلَتْه أيدينا؛ ولذلك ختمتُ الحديثَ عن مَعاوِلِ تفتيتِ الوِحْدة بالمعول الأخلاقي وإضعاف رُوحِ التديُّنِ؛ لأنَّ هذا من نقدِ الذاتِ

---

١١٢ الفصحى والعامية في وسائل الإعلام انطباعات واقتراحات للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ــ الأعداد (٨١-١٠٢)- (١/١٨١).

١١٣ راجع بالتفصيل: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير والاستشراق والاستعمار لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني (الفصْل التاسِع: الغزاة وأعمالهم في هدم وحدة المسلمين).

وتحمُّل المسؤوليات؛ فإننا جميعا مسؤولون عن ضعفِ رُوحِ التديُّن في مجتمعاتِنا الإسلامية، وقد تعوَّدْنا أنْ نُشِيرَ إلى مسؤوليةِ غيرِنا دون أن نحاسبَ أنفسَنا! فمن أخطر وسائل تفتيت الأمة: إضعاف روح التدين؛ فإنَّ رُوحَ الوِحْدة لا تنمو إلا في ظل الاستقرار الديني والاجتماعي والأمني، وكلما ضعفت رُوحُ التديُّن في النفوس نازعها الشيطان وسَوَّلَ لها التعدي على الآخرين؛ فتتمزق الوحدة، وتتفتت الأمة "وقد اتخذَتْ كتائبُ الغُزاة لهذا التفتيتِ وسائلَ عَمَلِيّةً كثيرةً جداً، وجنَّدُوا له طاقاتٍ ضخمةً استخدَمُوها في أعمالِ الإفساد، حتى تَمَّ لهم تمزيقُ وِحْدةِ الأمةِ الإسلامية من الناحية التطبيقية العامة، وإن كانت عواطِفُ الوِحْدةِ بين الشعوبِ المسلِمة، التي تُغَذِّيها العقيدةُ الإسلامية والتعاليمُ الربّانيّة، ما يزال لها الأثرُ الكبيرُ في نفوسِ أفرادِ هذه الشعوب، وإنْ كانت حبيسَةً في مواقع تجزئاتها، فهي لا تستطيع أن تعطي آثاراً عملية فعلية على الصعيد السياسي الرسمي، والتطبيق العام، وذلك بفعل ضواغط التجزئة الجاثِمة على صدورهم، والتي عمل أعداء الإسلام على ترسيخها وإلقاء الأثقال عليها خلال قرون. وما تزال أعمال التجزئة ومخططاتها مستمرة على نطاق واسع، وقد يسير في تيارها كثيرون من أفراد الشعوب الذين يقاومون التجزئة بين المسلمين، ويدعون إلى جمع كلمتهم، وتوحيد صفهم، دون أن يعلموا أنهم في تيارها سائرون، وضمن مخططاتها يعملون؛ وذلك لأن الأعداء قد أحكموا خطة مكرهم إحكاماً ينطلي على كثيرٍ من أهلِ الوَعْيِ والبَصَرِ النافذ، فضلاً عن الأغبياء والمغفلين".[١١٤]

وإنَّ من أعظمِ أسبابِ تحقيقِ الوِحْدة: أنْ نُصْلِحَ أنفُسَنا، وأنْ نلتَزِمَ بتعاليمِ دينِنا الحنيف؛ فإن النِّعمةَ لا تتغيَّرُ إلا بِتَغيُّرِ النفوسِ وفَسادِها وانْصِرافِها عن طاعةِ الله

١١٤ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير والاستشراق والاستعمار لعبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ٢٨٩/١.
دراسَة منهجيّة شاملة للغزو الفكري. المؤلف: عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني. الناشر: دار القلم دمشق. الطبعة الثامنة.

وشُكْرِه، كما قال عزَّ وجــلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ الرعد: ١١. وقال جل جلالــه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ الأنفال: ٥٣. وقال للصحابة يومَ أحُدٍ حين خالف الرماةُ تعاليمَ النبيِّ ﷺ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾.[١١٥] فرد القرآن سبب الهزيمة إلى حظوظ النفوس.

ودونك قصص الجاحدين نعمةَ الله كيف مزَّقَ الله وِحْدتَهم وفرَّقَ جَمْعَهم حــين ظلموا أنفسَهم؛ حتى صاروا يضرب بهم الأمثال فيقال (تفرقوا أيدي سبأ). قال عــز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ ســبأ: ١٥-١٩. وقصة اليهود وكيف شرَّدَهم الله تعالى يتيهون في الأرض على وجوههم: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ المائدة: ٢٤-٢٦. وذلك عامٌّ في كل من جحد نعمة الله، حتى قال تعالى في كفار مكة وما لحقهم من الجوع والخوف بمخالفتهم النبــيَّ ﷺ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ النحل: ١١٢.

---

١١٥ آل عمران: ١٦٥.

وهذا الْمِعْوَلُ الأخلاقي لتفتيتِ وِحدةِ الأُمة لا نكادُ نسمَعُ له ﴿رِكْزًا﴾ في وسائلِ إعلامِنا؛ فلا يُذْكَرُ ولا يُحذَّرُ منه مع كَوْنِه في غاية الخطورة!

ويحسن التنبيه ــ في مقامِ المحافَظةِ على القِيَم والتصدِّي للمِعْوَلِ الأخلاقي للتفتيتِ ــ على أنَّ مِن عواملِ الوِحْدةِ وأصُولِها: دَعْمَ قِيَمِ الأسرةِ واستِقرارِها، وتيسيرَ الزواج للشباب، ومحاربةَ غلاءِ المهور وموجاتِ الفساد؛ فإن استقرار الأسرة مِن أعظمِ أسبابِ استقرارِ المجتمع بأسْرِه؛ وتلك من آياتِ الله التي تُحقِّقُ المودة والرحمة: كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.[116]

المطلب الثاني: إشاعة الفاحشة من وسائل تفتيت الأمة:

وقد يكون عنوانُ هذا المطلَب جديدا على بعضِ الأذهان؛ وربما احتاجُ إلى شـــيءٍ من التفكير؛ ولكنْ إذا استَحْضَرْنا أنَّ قِيَمَنا الأخلاقيّة المستمَدَّة مِن ديننا الحنيفِ هـــي الأساسُ الذي تَقُومُ عليه وِحْدةُ الأمة وثوابتُها؛ فإنَّ إشاعةَ الفاحشة في المجتمَــع مِــنْ شأنِها أنْ تهدمَ الأساسَ الخلقي الذي تقوم عليه الوِحْدة؛ فيفقد المجتمعُ استقرارَه الخُلُقي ووِحْدَتَه القِيَمِيّة؛ ومن هنا جاء التحذيرُ القرآني والوعيدُ الشديدِ في قولِ الله عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.[117]

ولا شك أنَّ حملةَ العُري والتفسُّخ التي يتعمَّدُ أعداءُ الأمـــة إشـــاعتَها في مجتمـــع المسلِمين لِتَنْتَشِرَ كالنارِ في الهشيم تسعى إلى استِهْدافِ قِـــيَمِ المجتمـــع لِهَـــدْمِ الحيـــاء

---

١١٦ الروم: ٢١.

١١٧ النور: ١٩.

والعفاف؛ لتنحطَّ بالإنسانِ عن إنسانيَّته وأخلاقِه التي رفعَه الله بها إلى مستوى الانسلاخِ من قِيَمِه ومبادئه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.[١١٨]

إنَّ هذه الحربَ المنظَّمة على الشباب والمرأة ممن ﴿ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ جزءٌ من الحربِ الشاملة على الأمَّة، فالدعوة إلى إفسادِ المرأة[١١٩] والشبابِ تدميرٌ للأسرة ومسخٌ لهويّةِ الأمةِ وثقافتِها الذاتية، ومحاولةٌ لصناعة جيلٍ مُنْبَتٍّ عن المجتمعِ وتعاليمِه الدينية. ولَمّا كان السُّفورُ داعيَةَ الفُجور؛ فإنَّ هذه الحملة تستهدفُ تدميرَ القِيَم الأخلاقيَّة، وتفكيك الرَّوابط الأُسَريَّة؛ وُصُولاً إلى إذاعةِ الرِّيبة وإشاعة الفاحشة ﴿ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾؛ وذلك للقضاءِ على المعادن الأصيلة وإثارةِ الرِّيبة من حولِها! كما أنَّ إسقاطَ القُدواتِ هدفٌ خطيرٌ جداً وقتلٌ للمجتمعِ الصالِح بالقضاءِ على قِيَمِه الرفيعة! فحملات التشكيك والتشويه للأعراض النَّقيَّة لم تَقِفْ عند حدٍّ؛ بل بلغ بها تآمُرُ المنافقين بيتَ النبوَّة الطاهر![١٢٠]

---

١١٨ الأعراف: ١٧٦ – ١٧٧.

١١٩ وحملات السفور والانحلال دعوةٌ إلى القضاء على (أُنوثة المرأة)، وسَلْخِها من (إنسانيَّتها)، وتحويلِها إلى (أجزاء) مُبعثَرةٍ من (الأعضاء) التي يُتلذَّذ بها: وتُستَخْدَمُ للإثارةِ والإعلان المبتذَل! ومن ثَمَّ إعدام (المرأة) صاحبة الرّسالة في الحياة! وهل عُرِفت المرأةُ في الأشعارُ الماجنة إلا بهذه الرؤية الحيوانية.

١٢٠ حتى قالت بريرة رضي الله عنها في قصة الإفك كلمتها المعبِّرة في براءةِ أمِّنا عائشة رضي الله عنها من إفكِ المنافقين: (والله لا أعلمُ منها إلا ما يعلمُ الصائغُ على تبرِ الذهبِ الأحمر)! رواه مسلم في كتاب (التوبة) باب (في حديث الإفك). شرح النووي ١٧/١١٥.

وإذا نظرتَ إلى المجتمعاتِ المستهدَفة بالتفتيت؛ وَجَدْتَ الْمِعْوَلَ السِّياسي يعمـــلُ جنباً إلى جنبٍ مع الْمِعْوَلِ الأخلاقي؛ لِهَدْمِ أُسُسِ وِحْدةِ المجتمَع وثَوابِتِـــه الأخلاقيـــة؛ بالقضاء على استقراره الأمني والسياسي من ناحيةٍ بإثـــارةِ النـــــزاعات الداخليـــة، واستهداف استقراره القِيمي والاجتماعي بإشاعة الفاحشة في شبابه ونسائه. وقد فطن العلماء إلى هذا المعنى؛ فذَكَروا ارتباطَ الفسادِ السياسي بالانحلالِ الأخلاقي؛ بناءً على حديث النبيِّ ﷺ: (صِنْفان من أمتي لم أرَهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضـــربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائلاتٌ رؤوسهنّ كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنّة ولا يجدن ريحها)![121] فـــإنَّ السياســـة والاجتمـــاع قرينـــان في الرُّقِـــيَ والانحطاط؛ وقد جعل بعضُ العلماء هذا من علامات الساعة.[122] ولو تأمَّلْنـــا حـــالَ بُلدانِنا في العالَم الإسلامي لرأينا هذا الإعجازَ النبوي؛ فكلما اقتربَت سياسةُ دولةٍ مـــا من المبادىء السياسية الإسلامية ظهرت ثمرةُ ذلك صَلاحاً أخلاقيّاً واستِقراراً سياسِـــيّاً وسَلاماً اجتِماعيّاً![123] وكلما انتشرَ الفسادُ السياسي ظهرَت آثارُه في الانحلالِ الخلقي والبُعد عن تعاليم الدين الحنيف![124]

وإنَّ من السذاجة والغفلة أنْ لا نتساءل: "من الذي يقبع وراء بيـــوت الأزيـــاء؟ ووراء دكاكين التجميل؟ ووراء سُعار العُرْيِ والتكشُّـــف؟ ووراء الأفـــلام والصـــور

---

١٢١ رواه مسلم. شرح النووي ١٤/١٠٩.

١٢٢ القيامة الصغرى. لعمر سليمان الأشقر. ص ١٩٤. دار النفائس. ط١١. ١٤٢١ هـ.

١٢٣ وقد نبَّه والي الخرطوم د.عبد الرحمن الخضر في ٦/٨/٢٠١٠م إلى خطورة الوجود النسائي الأجنبي الكثيف في الخرطوم من ناحيةٍ، وإلى استخدام بعض (الركشات) وسيلةً لنشرِ أنواعِ الفسادِ في المجتمع السوداني لمحاربةِ قِيَمِه الأخلاقية. وهذا مما يغفل عنه كثير من الناس؛ وهو من أعظم معاوِل الهدم التي ينبغي اجتثاثها وعدم التساهل فيها. وهل تفشَّتْ المخدرات في الجامعات لتدمير الشباب إلا بسببِ تقصيرِنا وغفلتِنا عن محاربة هذه المعاول التي تـــدمر أخلاق شبابنا وتقضي على مستقبل أمتِنا؟!

١٢٤ راجع حراسة الفضيلة. للشيخ بكر أبو زيد. ص ١٢٩ وما بعد.

والروايات والقصص والمجلات والصحف التي تقود هذه الحملة المسعُورة... الذي يقبع وراء هذه الأجهزة كلِّها في العالم كلِّه يهود"![١٢٥] ".[١٢٦]

---

١٢٥ في ظلال القرآن ٨/١٢٨٤.

١٢٦ راجع بالتفصيل كتاب (زي الفتيات أبعاد ودلالات) لمحمد عمر دولة.

الفصل الثاني:

أثر العقيدة والعبادة في توحيد الأمة:

المبحث الأول: أثر العقيدة في توحيد الأمة:

- المطلب الأول: الوِحْدةُ ولزومُ الجماعةِ من الثوابتِ وأصُولِ الدينِ:
- المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية تحُثُّ على الائتلافِ وتنهى عن التفرق:

المبحث الثاني: أثر العبادة في توحيد الأمة:

- المطلب الأول: مبدأ الاجتِماع على العبادة في الإسلام:
- المطلب الثاني: الصوم مظهَرٌ من مظاهرِ وِحْدةِ الأمّة الإسلامية:
- المطلب الثالث: الوِحْدة من مقاصد الحج:
- المطلب الرابع: الصلاة ومظاهر الوحدة:
- المطلب الخامس: الزكاة من أعظم مظاهر الوحدة:

الفصل الثاني: أثر العقيدة والعبادة في توحيد الأمة:

ويحسن بنا بعد أن فصلنا في (مَعاوِل تفتيتِ الأمة) أن نتناولَ (عوامل وحدة الأمة)؛ لتأتي العقيدة الإسلامية المعتدلة والشريعة السمحة بعباداتها ذات الروح الاجتماعية على رأسِ الثوابت الداعمة للوحدة والنابذة للتنازع والشقاق.

المبحث الأول: أثر العقيدة في توحيد الأمة:

المطلب الأول: الوِحْدةُ ولزومُ الجماعةِ من الثوابتِ وأصُولِ الدينِ:

لا ريبَ أنَّ الوِحْدةَ مِن الثوابتِ الإسلاميّة: بما مَنَّ الله به علينا من وِحْدة العقيدةِ وشهادة التوحيد (لا إله إلا الله) التي توحِّدُ بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ووحدة الرسالة والرسول ﷺ، ووحدة الكتاب المنزَل: هذا القرآن العظيم، وهو المرجعية الفكرية للأُمّة، بالإضافة إلى السنة النبوية المطهَّرة. ووحدة القِبْلة والعبادة، في الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِّ والعُمْرة... فالأمةُ الإسلاميّة واحدةٌ على اختلافِ الشعوبِ والقبائلِ عَرَباً وعَجَماً، لا يتفاضلون إلا بالتقوى، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾،[127] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾.[128] مع الأمرِ الربّاني والنِّداءِ القرآني الجامع بين الامتِنانِ على الأمةِ بتوحيدِها في الاعتِقادِ وفي الاجتماع: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.[129]

---

١٢٧ الأنبياء: ٩٢.

١٢٨ المؤمنون: ٥٢.

١٢٩ آل عمران ١٠٣.

المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية تحُثُّ على الائتلافِ وتنهى عن التفرق:

فمنهَجُ الصحابة والسلفِ الصالِح يتمثّلُ في لُزُومِ الجماعة وتَرْكِ الفُرْقــة، وهــم أصحاب العبارة الاجتماعية البديعة: "أهلُ السُّنّة يَرَوْن الجماعةَ حقاً وصَواباً، والفُرْقــةَ زَيغاً وعذاباً".[130] فيجب على الأمة الاجتِماعُ والائتلاف، وأنْ يكونُوا إخْــوةً كمــا سَمّاهم الله تعالى.[131] ومِن مَحاسِنِ العقيدةِ الإسلامية الدالة على حِرْصِ العلماء علــى جَمْعِ الكَلِمة: أنهم "يَرَوْنَ عَدَمَ الخروجِ على الوُلاةِ وإنْ كانوا ظلمةً أو فَجَرة، ويَرَوْن الصلاةَ خَلْفَهم، والجهادَ معهم، ونُصْحَهم والدعاءَ لهم؛ لأنَّ الخروجَ عليهم فِتنةٌ تُسْفَكُ فيها الدماءُ، ولا طائلَ منها، مُتمثِّلِين في ذلك بِهَدْيِ السَّــلفِ مِــن الصــحابةِ ومَــنْ بعدَهم".[132] وأهلُ السُّنّة والجماعة كما قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: "يَرَوْن إقامةَ الحجِّ والْجُمَعِ والأعيادِ مع الأُمَراءِ أبرارًا كانوا أو فُجّارًا": "أي: سواءً كانوا صالِحِين مُستقيمِين، أو فُسّاقًا فِسْقًا لا يُخْرِجُهم عن المِلّة. وذلك لأنَّ غَرَضَ المسلِمِين من ذلــك هو جمعُ الكلِمة والابتعادُ عن الفُرْقة والخلاف؛ ولأن الوالِيَ الفاسِقَ لا ينعزِلُ بفِسْــقِه، ولا يجوز الخروجُ عليه لما يترتب على ذلك مِن ضياعِ الحقوقِ وإراقةِ الدماء. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولعله لا يكاد يُعْرَفُ طائفةٌ خرجَتْ على ذي سلطان إلا وكان في خُرُوجِها مِن الفسادِ أكثَرُ مِن الذي في إزالَتِه). وأهلُ السُّنّة يخالِفُون في ذلك أهلَ البِدَعِ مِن الخوارج والمعتزلة والشيعة الذين يَرَوْنَ قتالَ الوُلاة والخروجَ عليهم، إذا فعلوا ما هو ظلمٌ أو ظَنُّوه ظُلمًا".[133]

---

١٣٠ شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ٢١٩/٤.

١٣١ شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين ٢٢١/٤.

١٣٢ شرح اعتقاد أهل السنة لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين ١/١٣.

١٣٣ شرح العقيدة الواسطية للفوزان ١٦٩/١.

المبحث الثاني: أثر العبادة في توحيد الأمة:

المطلب الأول: مبدأ الاجتِماع على العبادة في الإسلام:

للعبادات ثمرات اجتماعية؛ وآثارٌ لترسيخِ وِحْدةِ الأمة، قلَّما يُنبّه الناس عليها؛ فقد "أمَرَ الله المؤمنين جميعاً بالتمسُّكِ بدينه، والاتحادِ وعدمِ التفرُّقِ فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.[١٣٤] والفُرقةُ والاختلافُ والتنازعُ سببٌ لهزيمةِ الأمةِ وزوالِها كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.[١٣٥] والوِحْدةُ والاجتِماعُ أصلٌ من أصولِ الدينِ الإسلامي. ومظاهر الوحدة في الشريعة الإسلامية كثيرةٌ؛ فالرب واحد، والكتاب واحد، والنبيُّ ﷺ واحد، والدينُ واحدٌ، والقِبْلة واحدة، والأُمّة واحدة. ولتحقيقِ وِحْدةِ الأُمّة حَثَّ الإسلامُ على لُزُومِ الجماعةِ، وبيَّنَ الرسولُ ﷺ أنَّ يدَ الله مع الجماعة.. وقد شَرَعَ الله الاجتِماعَ في جميعِ العِباداتِ الإسلاميّةِ لتحقيقِ هذه الوِحْدةِ، وخاطَبَ الله الأمّةَ بلفظِ الجماعة في جميع الأحكام إشارةً إلى أنهم أُمّةٌ واحِدةٌ كالجَسَدِ الواحِدِ، لا فرقَ بينَهم يؤمرون جميعاً وينهون جميعاً. ففي مقام العبادة يقول الله: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾،[١٣٦] ويأمرهم جميعاً بالمحافظة على الصلاة: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾،[١٣٧] وفي الزكاة يأمرهم جميعاً بقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾،[١٣٨] وفي الصوم يقول:

---

١٣٤ آل عمران: ١٠٣.

١٣٥ الأنفال: ٤٦.

١٣٦ النساء: ٣٦.

١٣٧ البقرة: ٢٣٨.

١٣٨ البقرة: ٤٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾.[١٣٩] وفي الحج يقول: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾،[١٤٠] وفي الجهاد يقول: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ ﴾.[١٤١] والإسلامُ يجعلُ الناسَ جميعاً أمام شرعِ الله سواءً الأبيض والأسود، العربي والأعجمي، الذكر والأنثى، الغني والفقير؛ يجمعهم الإسلامُ، يُؤمَرُون جميعاً، ويُنْهَوْن جميعاً؛ فمن أطاع الله ورسوله دَخلَ الجنة، ومَن عصى الله ورسوله دخل النار، كما قال: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾[١٤٢]".[١٤٣]

المطلب الثاني: الصوم مظهرٌ من مظاهرِ وِحْدةِ الأمّة الإسلامية:

الصَّوْمُ مظهَرٌ عَمَلِيٌّ مِن مظاهرِ وِحْدةِ المسلمين وتساويهم: غنيِّهم وفقيرِهم، حاكِمِهم ومحكومِهم، كبيرِهم وصغيرِهم، ذَكَرِهم وأُنْثاهم؛ فكلهم صائمٌ لربه، مستغفرٌ لذنبه، يمسكون عن الطعام في وقت واحدٍ، ويفطرون جميعاً في وقتٍ واحدٍ، ويتساوون طيلةَ نَهارِهم في الجوع والحرمان كما يتساوون في الشعائر الأخرى المرتبطة بالصيام. فالصوم يحقق في مجتمع الصائمين نوعاً من وحدة الهدفِ ووحدةِ الشعورِ ووحدةِ الضميرِ ووِحْدةِ المصير. تقوم الأمة جمعاء في موسم مُعَيَّنٍ من العام وفي قدرٍ معدودٍ من الأيام، وعلى نَسَقٍ واحدٍ بين جميعِ الأنام؛ إنه حلقةُ اتصالٍ بين شعوبٍ قويّةٍ، بين

١٣٩ البقرة: ١٨٣.

١٤٠ آل عمران: ٩٧.

١٤١ الحج: ٧٨.

١٤٢ فصلت: ٤٦

١٤٣ فتاوى الإسلام سؤال وجواب بإشراف: الشيخ محمد صالح المنجد ٧٣٦/١. من كتاب أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن إبراهيم التويجري.

شعوبِ الأمةِ الإسلاميةِ جمعاء مهما تناءَتْ الدِّيارُ وشطَّ المزارُ تصهرها في بوتقة واحدةٍ، وتضَعُها أمام تجربةٍ واحدةٍ، لها آثارٌ واحدةٌ ومظهرٌ جماعِيٌّ واحد. وبذلك تأتلف قلوبهم ومشاعرهم؛ فتغدو قلباً واحداً يتجه في الحياة وجهة واحدة. وهذا هو المثَلُ الأعْلَى للوحدة بين شعوب هذه الأمة، بل المثل الأعلى لكل وحدة في الحياة؛ لأنها وِحْدةٌ تنبعُ من الضميرِ، وتصنع المستقبل والمصير، وتنبعث من الباطن؛ لِتُحْدِثَ آثارَها في الظاهر وتحقِّقَ قولَ الحق سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾.[144] إنَّ هذه الوِحْدَةَ التي يحققها الصومُ وِحْدةُ مبدأ؛ لأنها ثَمرةُ عِبادةٍ جادّةٍ. ووِحْدة ضميرٍ؛ لأنها تنبعُ مِن أعمالِ الوجدان عن صميمِ النفسِ الإنسانية. ووحدة مصير: لأنها تقودُ الأُمّةَ كلَّها إلى مصيرٍ واحدٍ تنتهي إليه، وهو التقوى التي جعلها الله ثمرة الصيام. ووحدة شعور: لأنها تجمع مَشاعِرَ الأمة وإحْساسَها على هدفٍ واحِدٍ وتَضَعُها على طريقٍ واحدٍ. ووحدة عقيدة: لأنها تنبعُ عن إيمانٍ ويقينٍ وتَتَرَعْرَعُ في جوِّ التقوى والعبادة. وهي في مظهَرِها الرائع تُعطِي صُورةً صادِقةً عن الوِحْدة الكبرى التي يتساوى فيها أبناءُ الأُمّة مهما اختلَفَ الأجناسُ والألوانُ والأوطانُ، وإذا أرَدْتَ مِصْداقَ ذلك فأدِرْ بصرَكَ ذاتَ مرةٍ وأنتَ تُفْطِرُ في حَرَمِ الله الآمِنِ في بيتِه العتيقِ؛ لِترى مئاتِ الآلاف وهي تفطر جميعاً في ثانيةٍ واحدةٍ؛ فهل ترى مظهراً للوِحْدةِ أوضَحَ مِن هذا المظهر؟!".[145]

المطلب الثالث: الوِحْدة من مقاصد الحج:

مَقاصِدُ الحجِّ عظيمةٌ وكثيرةٌ، منها: تحقيق الوحدة: حين يلبس الناس كلهم الإحرام: ويحرمون جميعا من الميقات، في استسلامٍ لأمرِ اللهِ وشَرْعِه؛ فلا يتجاوزه أحدٌ

---

١٤٤ المؤمنون: ٥٢. وفي سورة الأنبياء: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٢.

١٤٥ الصيام أحكام وآداب عبد بن محمد بن أحمد الطيار ١/٢٣-٢٤.

إلا مُحْرِماً؛ وفي هذا إظهارٌ لوِحْدَةِ الأُمّةِ وانتِظامِها وضَبْطِها؛ فـلا يحصُـلُ التفـرُّقُ والاختلافُ في تحديدِ المواقيتِ... والحجُّ شِعارُ الوِحْدة؛ فإنَّ الحجَّ جعَلَ الناسَ سَواسِيَةً في لِباسِهم وأعمالِهم وشعائرِهم وقِبْلَتِهم وأماكِنِهم؛ فلا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ: الملـك والمملوك، والغني والفقير في ميزانٍ واحدٍ. فالناسُ سَواسِيَةٌ في الحقوقِ والواجبات، وهم سَواسِيَةٌ في هذا البيتِ الحرام، لا فرقَ بين الألوانِ والجنسيّات؛ وليس لأحدٍ أنْ يُفَـرِّقَ بينَهم. فهم يُمثِّلُون وِحْدةً في المشاعِرِ والشعائرِ والهدفِ والعملِ والقولِ... أكثر مـن مليونَيْ مُسْلِمٍ يَقِفُون كلُّهم في موقِفٍ واحدٍ.. وبلباسٍ واحدٍ.. لِهَدفٍ واحِدٍ.. وتحـت شِعارٍ واحدٍ.. يَدْعُون ربّاً واحداً.. ويتبعُون نبيّاً واحـداً.. وأيُّ وِحْـدةٍ أعظـمُ مِـن هذه![١٤٦]

المطلب الرابع: الصلاة ومظاهر الوحدة:

إذا تأملنا فريضة الصلاة: هذا الركن العظيم من أركان الإسلام ألفيناها شـعيرةً جماعية تحفها روح الجماعة وبركة الأنفاس الطاهرة المجتمعة على ذكـر الله. والصـلاة شعيرةٌ يتولى قيادتها إمامٌ يؤدي الصلاة فيتابعه المأمومون فلا يتقدمه منـهم أحـد، في انضباطٍ جماعي عجيبٍ، فلا يركعون حتى يركع، ولا يرفعون حتى يرفع، ولا يسجدون حتى يسجد، ولا يخرجون من الصلاة بالتسليم حتى يسلِّمَ الإمام.

فالصلاة شعيرةٌ تُوَحِّدُ قلوبَ المسلمين؛ فتجعلهم في صـفٍّ واحـدٍ، يَصْـطفُّون اصطِفافَ الملائكة، قد استوَوْا في الصفِّ مُتوَحِّدِين في أداءِ هذا الرُّكْنِ العظيم. وقـد نَهاهم النبيُّ ﷺ عن الاختِلافِ في الصفوف، ورَبَطَ بين اخـتِلافِ الصُّـفُوفِ وعـدمِ استِوائها، وبين اختِلافِ القلوبِ وتنازُعِها، قال خباب رضي الله عنه: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

١٤٦ فتاوى الإسلام سؤال وجواب (من موقع طيبة الطيِّبة للشيخ الدكتور يحي بن إبراهيم اليحيى) ١/٣٤٨٩.

ﷺ يَتخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: لاَ تَخْتَلِفُوا فَتخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ. وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ).[147]

المطلب الخامس: الزكاة من أعظم مظاهر الوحدة:

وأما الزكاةُ وكَوْنُها تُحَقِّقَ الوِحْدةَ والتكافُلَ والتآلُفَ والتراحُمَ بين أفرادِ الأمة؛ حيث تُرَدُّ أموالُ الأغنِياءِ على الفقراء؛ وتحصل المواساةُ والتعاونُ فهذا أشْهَرُ مِنْ أنْ يُدَلَّلَ عليه.

١٤٧ سنن أبي داود محقق وبتعليق الألباني ١/ ٢٥٠، حديث ٦٦٤.

الفصل الثالث: الوِحْدة في القرآن الكريم:

المبحث الأول: جمع القرآن بين أُخُوّةِ الإسلام وبين الإصلاح الاجتماعي:

المبحث الثاني: امتنان الله بالإيمان ووحدة الكلمة بعد الحروب والتمزق:

المبحث الثالث: من أغراضِ القرآن العظمى الحثُّ على الوِحدة:

المبحث الرابع: بيان القرآن أنَّ الاعتِصامَ سبيلُ القُوّة والوِحْدةَ مِن أسبابِ النَّصْر:

المبحث الخامس: نهي القرآن الأمة عن التنازع والتفرق والشقاق:

المبحث السادس: بيان القرآن عاقبةَ التنازُع من الفشلِ وذهابِ الرِّيح:

المبحث السابع: تحذير القرآن الكريم من زعزعة وحدةِ الأمة وشقِّ صفِّها:

الفصل الثالث: الوحْدة في القرآن الكريم:

المبحث الأول: جمع القرآن بين أُخُوّةِ الإسلام وبين الإصلاح الاجتماعي:

إذا تتبَّعتَ سِياقَ الاعتصامِ الواردِ في القرآن الكريم؛ وجَدْتَ توحِيدَ الله عزَّ وجلَّ والاعتِصامَ الجماعي مُقْتَرِنَيْن،

١) كما قال عزَّ وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.[148] وقد امتنَّ الله في هذا السِّياقِ القرآني البديعِ بنعمةِ التوحيدِ الاعتقادي في الهداية من الضلالةِ ونعمة التوحيد الاجتماعي في التآلف بعد العداوة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾. وهذه الآية لا يقوم بعضُ الناس بواجبِ تدبُّرِها والعملِ بها مع كَوْنِها منهَجاً للسلام الاجتماعي والاستقرار السياسي والأمني.

٢) وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾.[149] فجمع بين الإيمان بالله والاعتصام الجماعي به عز وجل؛ وذلك من أسباب الرحمة والهداية.

٣) وقال جل جلاله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾.[150] فقرن بين العبادات والاعتصام الجماعي بالله؛ لتتحقق الولاية والنصرة.

---

١٤٨ آل عمران: ١٠٣.

١٤٩ النساء: ١٧٥.

١٥٠ الحج: ٧٨.

٤) وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾.[١٥١] فجمع بين التوبة والإصلاح والإخلاص وبين الاعتصام الجماعي بالله؛ وأثبت لهم معية الله والأجر العظيم.

٥) ومن هذا الباب: جَمْعُ القرآنِ بين طاعةِ الله عز وجل، وبين النهيِ عن التنازُعِ المؤدِّي إلى الفشلِ وذهابِ الرِّيح: كما قال جل جلاله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.[١٥٢]

٦) وانظُرْ إلى جَمْعِ القرآنِ الكريم بين أُخُوّةِ الإسلام وبين الإصلاح الاجتماعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ الحجرات: ١٠.

٧) وتأمل قوله جل جلاله: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤﴾ النساء: ١١٤. حيث الترغيب في الإصلاح الاجتماعي وترتيب الأجر العظيم على ذلك، وقد جاءت الآيةُ التاليَةُ مُكمِّلةً لِغَرَضِ الإصلاحِ الاجتماعي في التحذيرِ مِن مُفارَقةِ الجماعة واتباعِ غيرِ سبيلِ المسلِمين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ النساء: ١١٥. وتأمَّلْ جمالَ هذا السِّياقِ القرآني وكمالَه وجلالَه مع جَمْعِه بين الترغيبِ في الأولى وبين الترهيبِ في الثانية. قال السعدي رحمه الله: "﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ والإصلاحُ لا يكون إلا بين مُتنازِعَيْن مُتخاصِمَيْن، والنزاع والخصام والتغاضبُ يوجِبُ من الشَّرِّ والفُرْقة ما لا يمكن حَصْرُه؛ فلذلك حَثَّ الشارعُ على الإصلاحِ بين الناسِ في الدماءِ والأموالِ

---

١٥١ النساء: ١٤٦.

١٥٢ الأنفال: ٤٦.

والأعراضِ، بل وفي الأديان كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾، [١٥٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ ﴾ ، [١٥٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾. [١٥٥] والساعي في الإصْلاحِ بين الناسِ أفضَلُ من القانتِ بالصلاةِ والصِّيامِ والصَّدقةِ، والمُصْلحُ لا بُدّ أنْ يُصْلحَ الله سَعْيَه وعَمَلَه". [١٥٦]

المبحث الثاني: امتنان الله بالإيمان ووحدة الكلمة بعد الحروب والتمزق:

قال الطبري رحمه الله: "عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾، [١٥٧] كُنْتُمْ تَذَابَحُونَ فِيهَا، يَأْكُلُ شُدِيدُكُمْ ضَعِيفَكُمْ! حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ؛ فَآخَى بِهِ بَيْنَكُمْ، وَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، إِنَّ الأُلْفَةَ لَرَحْمَةٌ، وَإِنَّ الْفُرْقَةَ لَعَذَابٌ... وعَنِ الرَّبِيعِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ ﴾ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَيَأْكُلُ شَدِيدُكُمْ ضَعِيفَكُمْ حَتَّى جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ؛ فَأَلَّفَ بِهِ بَيْنَكُمْ، وَجَمَعَ جَمْعَكُمْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَكُمْ عَلَيْهِ إِخْوَانًا؛ فَالنِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الأَنْصَارِ الَّتِي أَمَرَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ أَنْ يَذْكُرُوهَا هِيَ أُلْفَةُ الإِسْلاَمِ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ عَلَيْهَا، وَالْعَدَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ ﴾؛ فَإِنَّهَا عَدَاوَةُ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي

---

١٥٣ آل عمران: ١٠٣.

١٥٤ الحجرات: ٩.

١٥٥ النساء: ١٢٨. والآية بتمامها: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝١٢٨ ﴾.

١٥٦ تفسير السعدي ١/ ٢٠٢.

١٥٧ آل عمران: ١٠٣.

الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الإِسْلاَمِ، يَزْعُمُ الْعُلَمَاءُ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ، أَنَّهَا تَطَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، حَتَّى قَامَ الإِسْلاَمُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَتْ حَرْبُهُمْ بَيْنَهُمْ وَهُمْ أَخَوَانٌ لأَبٍ وَأُمٍّ، فَلَمْ يُسْمَعْ بِقَوْمٍ كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْحَرْبِ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَطْفَأَ ذَلِكَ بِالإِسْلاَمِ، وَأَلَّفَ بَيْنَهُمْ بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. فَذَكَّرَهُمْ جَلَّ ثناؤُهُ إِذْ وَعَظَهُمْ عَظِيمَ مَا كَانُوا فِيهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنَ الْبَلاَءِ وَالشَّقَاءِ: بِمُعَادَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَقَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ بِالإِسْلاَمِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ وَالإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الائْتِلاَفِ وَالاجْتِمَاعِ، وَأَمْنِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَمَصِيرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا".[١٥٨]

وقال ابن عاشور رحمه الله: "وقد امتَنَّ الله عليهم بتغيير أحوالِهم مِنْ أشْنَعِ حالةٍ إلى أحْسَنِها: فحالة كانوا عليها هي حالة العداوة والتفاني والتقاتل، وحالة أصبحوا عليها وهي حالة الأخوة؛ ولا يدرك الفرق بين الحالين إلا من كانوا في السوأى فأصبحوا في الحسنى، والناس إذا كانوا في حالة بؤس وضنك واعتادوها صار الشقاء دأبهم، وذلت له نفوسهم؛ فلم يشعروا بما هم فيه، ولا يتفطنوا لوخيم عواقبه، حتى إذا هُيِّئَ لهم الصلاحُ، وأخذ يتطرق إليهم استفاقوا من شقوهم، وعلموا سوء حالتهم، ولأجل هذا المعنى جمعت لهم هذه الآية في الامتنان بين ذكر الحالتين وما بينهما فقالت: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[١٥٩]".[١٦٠]

---

١٥٨ تفسير الطبري (دار هجر) ٥/٦٥٠-٦٥١.

١٥٩ آل عمران: ١٠٣.

١٦٠ التحرير والتنوير ٣/١٧٦.

المبحث الثالث: من أغراضِ القرآن العظمى الحثُّ على الوحدة:

فالدَّعوةُ إلى الوحدةِ والاتفاقِ، ونبذ الفرقةِ الشقاق: من أغراضِ القرآن العظمى ومقاصدِه الكبرى، وقد نصَّ على ذلك أهلُ التفسيرِ رحمهم الله، كما قال ابن عاشور في سياقِ تعدادِ الأغراضِ القرآنية العظمى، فذكَرَه رحمه الله ضِمْنَ "سياسة الأمة، وهو بابٌ عظيمٌ في القرآن، القصدُ منه صَلاحُ الأمة، وحِفْظُ نظامِها: كالإرشاد إلى تكوين الجامعة: بقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾،[١٦١] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[١٦٢] وقوله: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[١٦٣]".[١٦٤] وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾.[١٦٥]

فقد أمر القرآن بالوحدة والاتفاق: وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.[١٦٦] قال الطبري رحمه الله: "يَعْني بذَلِكَ جَلَّ ثناؤُهُ: وَتَعَلَّقُوا بِأَسْبَابِ اللَّهِ جَمِيعًا... وَتَمَسَّكُوا بدِينِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ إِلَيْكُمْ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالِاجْتِمَاعِ عَلَى كَلِمَةِ

---

١٦١ آل عمران: ١٠٣.

١٦٢ الأنعام: ١٥٩.

١٦٣ الأنفال: ٤٦

١٦٤ التحرير والتنوير ١/٣٨.

١٦٥ الأنعام: ١٥٣.

١٦٦ آل عمران: ١٠٣.

الْحَقِّ وَالتَّسْلِيمِ لأَمْرِ اللَّهِ".[١٦٧] وروى "عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ قَالَ: حَبْلُ اللَّهِ: الْجَمَاعَةُ. وَقَالَ آخَرُونَ: عَنَى بِذَلِكَ الْقُرْآنَ، وَالْعَهْدَ الَّذِي عَهِدَ فِيهِ... عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ حَبْل اللَّهِ الْمَتِينُ الَّذِي أَمَرَ أَنْ يُعْتَصَمَ بِهِ: هَذَا الْقُرْآنُ".[١٦٨] وقال القرطبي رحمه الله: "والمعنى كله متقاربٌ متداخِلٌ؛ فإن الله تعالى يأمُرُ بالألفة، وينهى عن الفرقة؛ فإنَّ الفُرقةَ هَلَكةٌ، والجماعة نجاةٌ. ورَحِمَ الله ابنَ المبارك حيث قال:

إنَّ الجماعةَ حَبْلُ الله فاعتَصِمُوا * منه بعُرْوَته الوُثقى لِمَنْ دانا".[١٦٩]

وزاد الطبري وجهاً آخرَ مِن معاني الاعتِصام: وهو الإخلاص: فقال رحمه الله: "وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ ذَلِكَ هُوَ إِخْلاَصُ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ... عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ يَقُولُ: اعْتَصِمُوا بِالإِخْلاَصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ".[١٧٠] وهذه الأوْجُهُ التي ذَكَرَها المفسِّرُون رَحِمَهم الله لِمَعْنَى الاعتِصام متكاملةٌ؛ فلا تتحققُ الوِحدةُ والائتلافُ إلا بالتمسكِ بالقرآنِ والجماعةِ والإخلاصِ لله تعالى والتجرُّدِ من كلِّ تعصُّبٍ وحظِّ نفسٍ.

وقد نبَّه أهلُ التفسيرِ على تأكيدِ الدعوةِ إلى الوِحْدةِ بالنهيِ عن التفرُّق: كما قال ابن عاشور رحمه الله: "قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ تأكيدٌ لِمَضْمُونِ ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ كقوله: ذممت ولم تحمد. على الوجه الأول في تفسير ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾. وأما على الوجه الثاني فيكون قوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أمرا ثانياً للدلالة على طلب الاتحاد في الدين، وقد ذكرنا أن الشيء قد يؤكد بنفي ضده عند قوله تعالى: ﴿ قَدۡ

---

١٦٧ تفسير الطبري (دار هجر) ٥/٦٤٣.

١٦٨ تفسير الطبري (دار هجر) ٥/٦٤٤.

١٦٩ تفسير القرطبي ٤/١٥٩.

١٧٠ تفسير الطبري (دار هجر) ٥/٦٤٦.

خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ في سورة الأنعام: ١٤٠. وفي الآية دليلٌ على أنَّ الأمرَ بالشيءِ يستَلْزِمُ النهيَ عن ضِدِّه". [١٧١]

المبحث الرابع: بيان القرآن أنَّ الاعتِصامَ سبيلُ القُوّة والوحدة مِن أسبابِ النَّصرْ:

فقد تضمَّنَتْ دَعْوَةُ القرآنِ إلى الاعتِصامِ بحَبْلِ الله وعدمِ التفرُّق؛ إشارةً إلى القُوّةِ المستمَدَّةِ من هذا الاعتِصام المبارَك، ومُقابلةً بين نعمةِ الإيمان وتآلفِ القلوبِ وبين ما كان في الجاهليةِ مِن تفرُّقٍ وتناحُرٍ: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾. [١٧٢] قال ابن عاشور رحمه الله: "قوله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ أمرَهم بما فيه صلاحُ أنفُسِهم لأخراهم، بأمْرِهم بما فيه صلاحُ حالِهم في دنياهم، وذلك بالاجتماعِ على هذا الدِّينِ وعدمِ التفرُّقِ؛ ليكتَسِبُوا باتحادِهم قوةً ونَماءً. والاعتِصامُ افتِعالٌ مِنْ (عَصَمَ) وهو طلَبُ ما يَعْصِمِ: أي يمنع. والْحَبْل: ما يُشَدُّ به للارتِقاء، أو التدلِّي، أو للنجاةِ من غَرَق، أو نحوه، والكلامُ تَمثِيلٌ لهيئةِ اجتِماعِهم والتِفاتِهم على دينِ الله ووَصاياه وعُهوده بهيئةِ استِمْساكِ جماعةٍ بحَبْلٍ أُلْقِيَ إليهم مُنْقِذٍ لهم مِن غرَقٍ أو سُقُوط، وإضافةُ الحبلِ إلى الله قرينةُ هذا التمثيل. وقوله: ﴿ جَمِيعٗا ﴾ حالٌ وهو الذي رجَّحَ إرادةَ التمثيل؛ إذْ ليس المقصودُ الأمرَ باعتِصامِ كلِّ مُسْلِمٍ في حالِ انفِرادِه اعتصاماً بهذا الدِّين، بل المقصُودُ الأمرُ باعتِصامِ الأمّةِ كلِّها، ويحصلُ في ضمنِ ذلك أمرُ كلِّ واحدٍ بالتمسُّكِ بهذا الدين". [١٧٣]

---

[١٧١] التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٥/٣.

[١٧٢] آل عمران: ١٠٣.

[١٧٣] التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧٤/٣.

وقال السعدي رحمه الله: "أمَرَهم تعالى بما يُعِينُهم على التقوى: وهو الاجتِماعُ والاعتِصامُ بدينِ الله، وكَوْن دَعْوَى المؤمنين واحِدَةً مؤتلِفِين غير مُختَلِفِين؛ فإنَّ اجتِماعَ المسلِمِين على دينِهم، وائتلافَ قلوبِهم يُصْلِحُ دينَهم ودُنياهم؛ وبالاجتِماعِ يتمكَّنُون مِن كلِّ أمْرٍ مِن الأمُور، ويحصل لهم من المصالِح التي تتوقَّفُ على الائتلافِ ما لا يمكن عَدّها: مِن التعاوُنِ على البرِّ والتقوى، كما أنَّ بالافتِراقِ والتعادِي يَخْتَلُّ نظامُهم وتنقَطِعُ رَوابطُهم، ويصيرُ كلُّ واحِدٍ يعملُ ويسعَى في شهوَةِ نفسه، ولو أدَّى إلى الضَّرَرِ العام، ثم ذَكَّرَهم تعالى نِعْمَتَه وأمَرَهم بِذِكْرِها فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ يقتل بعضُكم بعضا، ويأخذُ بعضُكم مالَ بعض، حتى إنَّ القبيلةَ يُعادي بعضُهم بعضاً، وأهل البلد الواحِد يقع بينهم التعادي والاقتِتال، وكانوا في شَرٍّ عظيم، وهذه حالةُ العرب قبل بعثة النبيِّ ﷺ فلما بَعَثَه الله وآمنوا به واجتَمَعُوا على الإسلام وتآلفَتْ قلوبُهم على الإيمانِ كانوا كالشخصِ الواحِد: مِن تآلُفِ قلوبهم ومُوالاةِ بعضِهم لبعض، ولهذا قال: ﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: ولم يبقَ بينَكم وبينَها إلا أنْ تَمُوتُوا؛ فتدخُلُوها ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾ بما مَنَّ عليكم من الإيمان بمحمّدٍ ﷺ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يوضحها ويفسِّرها، ويُبَيِّن لكم الحقَّ مِن الباطل، والهدى مِن الضلال ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ بمعرفةِ الحقِّ والعملِ به، وفي هذه الآيةِ ما يدُلُّ أنَّ الله يُحِبُّ مِن عِبادِه أنْ يذكُرُوا نِعْمَتَه بقلوبِهم وألسنَتِهم؛ ليزدادُوا شُكْراً له ومحبةً، ولِيَزِيدَهم مِن فضلِه وإحْسانه، وإنَّ مِن أعظَمِ ما يُذْكَرُ مِنْ نعَمِه نعمةَ الهداية إلى الإسلام، واتباعَ الرسول ﷺ واجتماعَ كلمةِ المسلمين وعدمُ تفرُّقِها".[١٧٤]

وقد بيَّنَ القرآنُ أنَّ وِحْدَةَ الصّفِّ مِن أسبابِ النصرِ، كما أنَّ التنازُعَ مِن أسبابِ الهزيمة والفشَل: وقد قال عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ

---

١٧٤ تفسير السعدي ١٤١/١.

كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[175] قال الشنقيطي رحمه الله: فقد "ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَعَةَ أَسْبَابٍ لِلطُّمَأْنِينَةِ: الْأُولَى: الثَّبَاتُ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾،[176] وَالثَّانِيَةُ: ذِكْرُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾،[177] وَالثَّالِثَةُ: طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَيَدُلُّ لَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾،[178] وَالرَّابِعَةُ: عَدَمُ التَّنَازُعِ وَالِاعْتِصَامُ وَالْأُلْفَةُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾".[179]

المبحث الخامس: نهي القرآن الأمة عن التنازع والتفرق والشقاق:

وقد ذَمَّ القرآن الكريمُ التفرُّقَ والتنازُعَ في آياتٍ عِدّةٍ، ونَهى عن التفرُّقِ والشِّقاق، فقال عزَّ وجلَّ في سِياقٍ جامعٍ بين الأمرِ بالاعتِصامِ والاجتماع، وبين النَّهيِ عن التفرُّق والتنازُعِ، والتذكيرِ بنِعْمةِ الأُخُوَّةِ وتأليفِ القلوب بعد العَداوة، ونِعْمةِ الإيمانِ والهدايةِ بعد الكفرِ والضلالِ: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.[180] قال الطبري رحمه الله: "يَعْنِي جَلَّ ثناؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾: وَلَا

---

١٧٥ الأنفال: ٤٥ – ٤٦.

١٧٦ الصف: ٤.

١٧٧ الرعد: ٢٨.

١٧٨ محمد: ٢٠–٢١.

١٧٩ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٢٠–٢١.

١٨٠ آل عمران: ١٠٣.

تَتفرَّقُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ وَعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَ إِلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ مِنَ الائْتِلافِ وَالاجْتِمَاعِ عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِهِ... عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ كَرِهَ لَكُمُ الْفُرْقَةَ وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ فِيهَا، وَحَذَّرَكُمُوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْهَا، وَرَضِيَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَالأُلْفَةَ وَالْجَمَاعَةَ؛ فَارْضَوْا لأَنْفُسِكُمْ مَا رَضِيَ اللَّهُ لَكُمْ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ، وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ... عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾: لاَ تَعَادَوْا عَلَيْهِ، يَقُولُ: عَلَى الإِخْلاَصِ لِلَّهِ، وَكُونُوا عَلَيْهِ إِخْوَانًا... وعن أَنَس بْن مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هَذِهِ الْوَاحِدَةُ؟ قَالَ: فَقَبَضَ يَدَهُ وَقَالَ: الْجَمَاعَةُ ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾)... عَنْ ثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ الْمُزَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ:[١٨١] (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَإِنَّ مَا تَكْرَهُونَ فِي الْجَمَاعَةِ وَالطَّاعَةِ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَسْتَحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ)".[١٨٢]

وقال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.أمرَهُم بالجماعة، ونهاهم عن التفرقة، وقد وَرَدَتْ الأحاديثُ المتعدِّدة بالنهيِ عن التفرُّق، والأمرِ بالاجتماعِ والائتلاف".[١٨٣] و"قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ هذا السياق في شأن الأوْس والخَزْرَج، فإنه كانت بينهم حُروبٌ كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن، وإحَنٌ طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم،

---

١٨١ وفي روايةٍ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَخْطُبُ... تفسير الطبري (دار هجر) ٦٤٨/٥.

١٨٢ تفسير الطبري (دار هجر) ٦٤٧/٥-٦٤٨.

١٨٣ تفسير ابن كثير/ دار طيبة ٨٩/٢-٩١.

فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانا متحابين بجـلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، قال الله تعـالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ .[١٨٤] وكانوا على شفا حُفْرة من النار بسـبب كفـرهم، فأبعدهم الله منها: أنْ هَدَاهُم للإيمان. وقد امتن عليهم بذلك رسولُ الله ﷺ يوم قَسَـم غنائم حُنَيْنٍ، فَعتَبَ من عتب منهم لّما فَضَّل عليهم في القِسْمَة بمـا أراه الله، فخطبـهم فقال: (يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أجدْكُمْ ضُلالا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفرِّقِينَ فَـألَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فأغْنَاكُمْ اللهُ بِي؟ كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمَنّ). وقد ذَكَرَ محمد بن إسحاق بن يَسار وغيره: أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلـك أن رجلا من اليهود مَرَّ بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هُمْ عليه من الاتفاق والأُلْفَـة، فبعث رجلا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بُعَاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبُه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضـهم علـى بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلـك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يُسكِّنهم ويقول: "أبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وأَنَا بَـيْنَ أظْهُرِكُمْ؟" وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصـطلحوا وتعـانقوا، وألقوا السلاح، رضي الله عنهم. وذكر عِكْرِمة أن ذلك نزل فيهم حـين تشـاوروا في قضية الإفْك".[١٨٥]

وقال عزَّ وجل نَاهِياً عن الافتـراقِ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ

١٨٤ الأنفال: ٦٢–٦٣.

١٨٥ تفسير ابن كثير/ دار طيبة ٨٩/٢–٩١.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ الشورى: ١٣. قال الشنقيطي رحمه الله: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِ﴾ رَاجِعٌ إِلَى الدِّينِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾. وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الافْتِرَاقِ فِي الدِّينِ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ وَصَّى خَلْقَهُ بِذَلِكَ، فَمِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾،[186] وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لا يَجْتَنِبُونَ هَذَا النَّهْيَ، وَهَدَّدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾؛[187] لأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فِيهِ تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ لَهُمْ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» : ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ ٥٢-٥٤. فَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أَيْ: إِنَّ هَذِهِ شَرِيعَتُكُمْ شَرِيعَةً وَاحِدَةً، وَدِينُكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ، وَرَبُّكُمْ وَاحِدٌ؛ فَلا تَتَفَرَّقُوا فِي الدِّينِ. وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلا: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجْتَنِبُوا مَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فِيهِ تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَوَعِيدٌ عَظِيمٌ عَلَى ذَلِكَ. وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «الأَنْبِيَاءِ»: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ٩٢-٩٣. فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ فِيهِ أَيْضًا تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَوَعِيدٌ عَلَى ذَلِكَ".[188]

---

١٨٦ الأنعام: ١٥٣.

١٨٧ الأنعام: ١٥٩.

١٨٨ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٧/٦١.

المبحث السادس: بيان القرآن عاقبةَ التنازُع الفشلِ وذهابِ الرِّيح:

فقد قال عز وجـــل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾.[189] قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ "نَهَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ التَّنَازُعِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ سَبَبُ الْفَشَلِ، وَذَهَابُ الْقُوَّةِ. وَنَهَى عَنِ الْفُرْقَةِ أَيْضًا فِـي مَوَاضِـعَ أُخَـرَ، كَقَوْلِـهِ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، وَنَحْوِهَا مِنَ الْآيَاتِ. وَقَوْلُهُ فِـي هَـذِهِ الْآيَـةِ: ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾: قُوَّتُكُمْ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: نَصْرُكُمْ، كَمَا تَقُولُ الْعَـرَبُ: الـرِّيحُ لِفُلَانٍ؛ إِذَا كَانَ غَالِبًا".[190]

ففي وِحْدةِ الأمة: حفظٌ مِن مَكايدِ الأعداءِ: قال عمـر سـليمان الأشـقر: "إنَّ اعتِصامَ هذه الأُمّةِ بدينِها ووِحْدَتَها حاجزٌ يقِفُ دون مطامعِ أعدائها، فمهما كان مكـرُ الأعداء وقوتُهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلاً إذا كانت مُتَّحِـدةً، وفي الحـديث الذي يرويه ثوبان أن الرسول ﷺ قال: (إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بِسَنَةٍ عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قـال: يـا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهـم بسـنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولـو اجتمـع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسـبي بعضهم بعضاً).[191] وواضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من أعدائها، فـإذا

---

١٨٩ الأنفال: ٤٦.

١٩٠ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٢/ ١٠٢.

١٩١ رواه مسلم في صحيحه، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، (٢/ ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩) والمراد بالبيضة، أي: جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العزّ والملك. والمراد بقوله: (أن لا أهلكهم بسـنة عامـة) أي: لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط يكون في ناحية يسيرة، بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام.

أصبح بأسها بينها، ووقعت الفرقة والاختصام فيما بينها سلط الله عليها أعداءها، وتلك نتيجة حتمية لأن قوتها في هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء، بل إلى نفسها فتدمر نفسها بنفسها، مما يطمع أعداءها فيها".[192]

ولهذا المعنى جَمَعَ القرآنُ بين ذِكْرِ نعمةِ الوحْدةِ والاجتماع ونعمةِ الإيمانِ والهدايةِ: فإنَّ التفرق ضعفٌ واختلالٌ، والاعتصام قوةٌ وحصانةٌ؛ فلا يتمكن الأعداء من الأمة حالَ اجتماعِها وتَمَسُّكِها بدينِها، كما قال عزَّ وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ قال الطبري رحمه الله: "وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكُمْ حِينَ ﴿ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾: أَيْ بِشِرْكِكُمْ، بِقَتْلِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، عَصَبِيَّةً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ وَلاَ طَاعَةِ رَسُولِهِ، ﴿ فَأَلَّفَ ﴾ اللَّهُ بِالإِسْلاَمِ ﴿ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾، فَجَعَلَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ إِخْوَانًا ــ بَعْدَ ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ ــ تَتَوَاصَلُونَ بِأُلْفَةِ الإِسْلاَمِ وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِكُمْ عَلَيْهِ".[193]

وهذا يُقَرِّبُ لنا معنى قولِ الله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾، قال الطبري رحمه الله: "وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾، فَإِنَّهُ يَعْنِي: فَأَصْبَحْتُمْ بِتَأْلِيفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَكُمْ بِالإِسْلاَمِ وَكَلِمَةِ الْحَقِّ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى نُصْرَةِ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَالتَّآزُرِ عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ إِخْوَانًا مُتَصَادِقِينَ لاَ ضَغَائِنَ بَيْنَكُمْ، وَلا تَحَاسُدَ... عن قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ: ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾، وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ لاِبْنِ مَسْعُودٍ: كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ؟ قَالَ: أَصْبَحْنَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا".[194] وتأمَّلْ تذكيرَ القرآن بنعمة الإيمان والتآلف:

---

١٩٢ القيامة الصغرى لعمر سليمان الأشقر ١٤٧/١.

١٩٣ تفسير الطبري (دار هجر) ٦٤٩/٥.

١٩٤ تفسير الطبري (دار هجر) ٦٥٧/٥.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ قال الطبري رحمه الله: "يَعْنِي بِقَوْلِهِ جَلَّ ثناؤُهُ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ وَكُنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ عَلَى حَرْفِ ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ لِكُفْرِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ لِلإِسْلامِ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَكُنْتُمْ عَلَى طَرَفِ جَهَنَّمَ بِكُفْرِكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالإِسْلامِ؛ فَتَصِيرُوا بِائْتِلافِكُمْ عَلَيْهِ إِخْوَانًا، لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلاَّ أَنْ تَمُوتُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ كُفْرِكُمْ؛ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ فِيهَا، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بِالإِيمَانِ الَّذِي هَدَاكُمْ لَهُ، وَشَفَا الْحُفْرَةِ: طَرَفُهَا وَحَرْفُهَا مِثْلَ شَفَا الرَّكِيَّةِ وَالْبِئْرِ... عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ يَقُولُ: كُنْتُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ مِنْ ذَلِكَ، وَهَدَاكُمْ إِلَى الإِسْلامِ... عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُ: كُنْتُمْ عَلَى طَرَفِ النَّارِ: مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ أُوبِقَ فِي النَّارِ، فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْحُفْرَةِ". [١٩٥]

المبحث السابع: تحذير القرآن الكريم من زعزعة وحدةِ الأمة وشقِّ صفِّها:

فقد حذَّر القرآن الكريم من مكرِ اليهودِ والمنافقين وخبالِهم وسَعْيِهم في شقِّ صفوفِ الأمة وزعزعة وحدتها واستقرارها: فقال عزَّ وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾، [١٩٦] وقال جل جلاله: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا

---

١٩٥ تفسير الطبري (دار هجر) ٥/٦٥٧-٦٥٩.

١٩٦ آل عمران: ١١٨

خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾، [١٩٧]

قال القرطبي رحمه الله: "بيَّنَ تعالى المعنَى الذي لأجْلِه نَهَى عن المواصَلة، فقال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يقول فسادا: يعني: لا يتركون الجهد في فسادِكم، يعني أنهم وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون الجهدَ في المكرِ والخديعة، قلتُ:[١٩٨] وقد انقلبَتْ الأحوالُ في هذه الأزمانِ باتخاذِ أهلِ الكِتاب كَتَبَةً وأُمَناءَ وتَسَوَّدُوا بذلك عند الجهلةِ الأغبياءِ مِن الوُلاةِ والأُمَراء".[١٩٩] وقال البغوي: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾،[٢٠٠] أي: البغض، معناه: ظهرتْ أمارةُ العداوة، ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾،[٢٠١] بالشتيمةِ والوَقِيعةِ في المسلِمين، وقيل: بإطِّلاعِ المشركِين على أسْرارِ المؤمِنين ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾،[٢٠٢] مِن العَداوةِ والغَيْظِ ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظم".[٢٠٣]

وقد حذَّرَ القرآن من خُطُورةَ الدِّعايةِ والإشاعةِ في شَقِّ الصُّفوف: وما أحْسَنَ ما نبَّهَ عليه الشنقيطي رحمه الله مُبيِّناً خُطُورةَ الدِّعايةِ والإشاعةِ في شَقِّ الصُّفوف، فقال: "وَمِنْ ذِكْرِ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ مِنْ رُعْبِ الْقُلُوبِ، وَأَسْبَابِ النَّصْرِ مِنَ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، تَعْلَمُ مَدَى تَأْثِيرِ الدَّعَايَاتِ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ، وَمَا سُمِّيَ بِالْحَرْبِ الْبَارِدَةِ مِنْ كَلَامٍ وَإِرْجَافٍ مِمَّا يَنْبَغِي الْحَذَرُ مِنْهُ أَشَدُّ الْحَذَرِ، وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

---

١٩٧ التوبة: ٤٧.

١٩٨ القول للقرطبي رحمه الله. وله نقدٌ بليغٌ لعصره وتحسُّرٌ على أحوال المسلمين وتفرقهم في تفسيره الجليل: الجامع لأحكام القرآن.

١٩٩ تفسير القرطبي ٤/١٧٩.

٢٠٠ آل عمران: ١١٨

٢٠١ آل عمران: ١١٨

٢٠٢ آل عمران: ١١٨

٢٠٣ تفسير البغوي ٢/٩٥.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾،[٢٠٤] وَقَدْ حَذَّرَ تَعَالَى مِنَ السَّمَاعِ لِهَؤُلاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.[٢٠٥] وَلَمَّا اشْتَدَّ الأَمْرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ الأَحْزَابِ، وَبَلَغَ الرَّسُولَ ﷺ أَنَّ الْيَهُودَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ﷺ مَنْ يَسْتَطْلِعُ خَبَرَهُمْ، وَأَوْصَاهُمْ إِنْ هُمْ رَأَوْا غَدْرًا أَلاَّ يُصَرِّحُوا بِذَلِكَ، وَأَنْ يَلْحَنُوا لَهُ لَحْنًا حِفَاظًا عَلَى طُمَأْنِينَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِبْعَادًا لِلإِرْجَافِ فِي صُفُوفِهِمْ. كَمَا بَيَّنَ تَعَالَى أَثَرَ الدِّعَايَةِ الْحَسَنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾،[٢٠٦] وَقَدْ كَانَ بِالْفِعْلِ لِخُرُوجِ جَيْشِ أُسَامَةَ بَعْدَ انْتِقَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى، وَعِنْدَ تَرَبُّصِ الأَعْرَابِ كَانَ لَهُ الأَثَرُ الْكَبِيرُ فِي إِحْبَاطِ نَوَايَا الْمُتَرَبِّصِينَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: مَا أَنْفَذُوا هَذَا الْبَعْثَ إِلا وَعِنْدَهُمُ الْجُيُوشُ الْكَافِيَةُ، وَالْقُوَّةُ اللازِمَةُ. وَمَا أَجْرَاهُ اللَّهُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَمَلِيٍّ، إِذْ يُقَلِّلُ كُلَّ فَرِيقٍ فِي أَعْيُنِ الآخَرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾.[٢٠٧] وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَنْبَغِي الاسْتِفَادَةُ مِنْهُ الْيَوْمَ عَلَى الْعَدُوِّ فِي قَضِيَّةِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ".[٢٠٨]

---

٢٠٤ الأحزاب: ١٨.

٢٠٥ التوبة: ٤٧.

٢٠٦ الأنفال: ٦٠.

٢٠٧ الأنفال: ٤٣-٤٤.

٢٠٨ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/٢٠-٢١.

الفصل الرابع: الوِحْدة في السُّنّة ودور المؤاخاة ونبذ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة:

المبحث الأول: حثُّ السُّنّة على الوِحْدة والنَّهي عن الفُرْقة:

المبحث الثاني: أمرُ النبيِّ ﷺ بإصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ ونَهْيُه عن إفسادِها:

المبحث الثالث: التربية النبوية على التطاوُع والاتفاق وترك التنازُع والشِّقاق:

المبحث الرابع: مِنّة الإيمان والاجتماع بالنصِّ النبوي:

المبحث الخامس: دور المؤاخاة في بِناءِ الوِحْدة:

المبحث السادس: دور نَبْذِ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة:

- المطلب الأول: كسر الأصنام الاجتماعية من العصبيات والنعرات:
- المطلب الثاني: النسَبُ للتعارُف وليس للتفاضل والتفاخُر:
- المطلب الثالث: منع الإساءة العرقية وحزم النبيِّ ﷺ مع زلة أبي ذر:
- المطلب الرابع: تعليم الصحابة مبدأ (مَن أبطأ به عَمَلُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه):
- المطلب الخامس: النهي عن النعرات والعصبيات القومية:
- المطلب السادس: النهي عن القتال للحَمِية والعَصَبية:
- المطلب السابع: عدالة الإسلام فوق الأنساب والأحساب:

الفصل الرابع: الوِحْدة في السُّنّة ودور المؤاخاة ونبذ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة:

المبحث الأول: حثُّ السُّنّة على الوِحْدة والنَّهي عن الفُرْقة:

تعدَّدَتْ أحاديثُ النبيِّ ﷺ المتعلِّقة بالنهيِ عن التنازُع والاختلاف، والأمرِ بالاجتِماع والائتِلافِ، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وأنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وأنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاهُ اللهُ أمْرَكُمْ؛ وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا: قيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإضَاعَةَ الْمَالِ).[209] قال ابن كثير رحمه الله: "وقد ضُمِنتْ لهم العِصْمةُ عند اتفاقِهم من الخطأ، كما وردَتْ بذلك الأحاديثُ المتعددة أيضًا، وخِيفَ عليهم الافتراقُ والاختِلافُ، وقد وقَعَ ذلك في هذه الأُمّة؛ فافترقوا على ثلاثٍ وسبعين فِرْقة، منها فِرْقةٌ ناجيةٌ إلى الجنة، ومُسَلَّمةٌ من عذابِ النار، وهم الذين على ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه".[210] وقال القرطبي رحمه الله: "فأوجَبَ تعالى علينا التمسُّك بكتابه وسُنّة نبيِّه ﷺ والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتِماع على الاعتِصامِ بالكتابِ والسُّنّة اعتِقادا وعملا، وذلك سببُ اتفاقِ الكلِمة وانتِظامِ الشَّتاتِ الذي يتم به مصالِحُ الدنيا والدين، والسلامة من

---

٢٠٩ لفظ مسلم: (إنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ). صحيح مسلم ١٣٠/٥، حديث ٤٥٧٨. ولفظ الموطأ: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاَثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ).موطأ مالك ٨١/٦، حديث ١٨٣٣.

٢١٠ تفسير ابن كثير/ دار طيبة ٨٩/٢-٩١.

الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين. هذا معنى الآية على التمام".[٢١١]

وقد روى البخاري رحمه الله في كتاب (الأدب) باب (مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)،[٢١٢] وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،[٢١٣] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا).[٢١٤] وفي رواية لحديث أنس بْنِ مَالِكٍ في باب (الهجرة)[٢١٥] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ).[٢١٦] ورواه مسلم رحمه الله في كتاب البرِّ والصِّلة، باب (النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ).[٢١٧] وفي روايةٍ جامعةٍ من حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى

---

٢١١ تفسير القرطبي ١٦٤/٤.

٢١٢ صحيح البخاري ٢٣/٨، حديث ٦٠٦٥.

٢١٣ وروى حديث أبي هريرة كذلك في مطلع كتاب (الفرائض). باب تَعْلِيمِ الْفَرَائِضِ، وَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: تَعَلَّمُوا قَبْلَ الظَّانِّينَ: يَعْنِي الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالظَّنِّ). صحيح البخاري ١٨٥/٨، حديث ٦٧٢٤.

٢١٤ صحيح البخاري ٢٣/٨، حديث ٦٠٦٤.

٢١٥ ويراد بالهجرة هنا الهجران والمقاطعة، وليست بالهجرة النبوية.

٢١٦ صحيح البخاري ٢٥/٨، حديث ٦٠٧٦.

٢١٧ صحيح مسلم ٨/٨، حديث ٦٦٩٠.

صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ).[٢١٨]

المبحث الثاني: أمرُ النبيِّ ﷺ بإصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ ونَهْيُه عن إفسادِها:

وقد روى أبو داود والترمذي رحمهما الله عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ فإنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هي الْحَالِقَةُ).[٢١٩] قال أبو عيسى: هذا حديث صحيحٌ، ويروى عن النبيِّ ﷺ هي الحالقة لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين). ورواه ابن حبان رحمه الله في صحيحه: في (ذِكْر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ بين المسلمين).[٢٢٠]

وروى الترمذي رحمه الله عن أبي هريرة: أن النبيَّ ﷺ قال: (إيّاكم وسُوءَ ذاتِ البَيْنِ؛ فإنها الحالِقة). قال أبو عيسى: ومعنى قوله: (وسوء ذات البين) إنما يعني العداوة والبغضاء، وقوله: (الحالقة) يقول: إنها تحلق الدين).[٢٢١] ورواه البخاري رحمه الله في (الأدب المفرد) باب (إصلاح ذات البين).[٢٢٢] وروى مَالِك رحمه الله عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: (أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِيَّاكُمْ وَالْبِغْضَةَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ).[٢٢٣]

---

٢١٨ صحيح مسلم ٨/١٠، حديث ٦٧٠٦.

٢١٩ سنن أبي داود بتعليق الألباني ٤/٤٣٢، حديث ٤٩٢١، وسنن الترمذي شاكر + ألباني -٤/٦٦٣، حديث ٢٥٠٩. قال الشيخ الألباني: صحيح. ١/١٤٢، حديث ٣٩١. بأحكام الألباني.

٢٢٠ صحيح ابن حبان مع حواشي الأرناؤوط كاملة ١١/٤٨٩، حديث ٥٠٩٢.

٢٢١ قال الشيخ الألباني: حسن. سنن الترمذي – شاكر + ألباني ٤/٦٦٣، حديث ٢٥٠٨.

٢٢٢ الأدب المفرد للبخاري بأحكام الألباني ١/١٤٢، حديث ٣٩١. قال الشيخ الألباني: صحيح.

٢٢٣ موطأ مالك ٥/٣١٤، حديث ١٦٤٢.

وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الله تعالى يَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، كما روى مسلم رحمه الله في باب (النَّهْي عَنِ الشَّحْنَاءِ وَالتَّهَاجُرِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا). [٢٢٤]

وقد وعد الله رسوله ﷺ أن لا يهلك أمته بعدوان عسكري خارجي ولا بمجاعة اقتصادية ولا بمصيبة عامة كالغرق ونحوه، ولكنهم مكلفون ممتحنون في وحدهم أن لا يكون بأسهم بينهم، كما روى مسلم رحمه الله في كتاب (الفتن) عن سَعْدٍ رضي الله عنه (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ ﷺ: سَأَلْتُ رَبِّى ثَلاَثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِى بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِى بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا). [٢٢٥] وفي حديث ثوبان رضي الله عنه: (وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّى لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ، وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ

٢٢٤ صحيح مسلم ١١/٨، حديث ٦٧٠٩.

٢٢٥ صحيح مسلم ١٧١/٨، حديث ٧٤٤٢. باب (هَلاَكُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ).

اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا ــ أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا ــ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا).[٢٢٦]

المبحث الثالث: التربية النبوية على التطاوع والاتفاق وترك التنازع والشقاق:

وقد أوصَى النبيُّ ﷺ معاذا وأبا موسى حين أرسلَهما إلى اليمن بأن يتطاوعا ولا يختلفا! وهل أضرَّ أمَّتَنا في عصرِنا شيءٌ كما أضَرَّ بها التنازعُ بين أهلِها؟! وقد روى البخاري رحمه الله في كتاب صلاة التراويح، باب (رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس) عن عُبادة بن الصامت قال: خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: (خرَجتُ لأخْبِرَكم بليلةِ القَدرِ؛ فتلاحَى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعَتْ، وعسى أنْ يكونَ خيراً لكم، فالتَمِسُوها في التاسِعةِ والسابعةِ والخامِسة)؛[٢٢٧] ولذلك روى حديثَ عُبادة رضي الله عنه[٢٢٨] بلفظ: (التَمِسُوها في السَّبعِ والتِّسعِ والخَمسِ) في

---

٢٢٦ صحيح مسلم ١٧١/٨، حديث ٧٤٤٠. وفي مسند أحمد عن خباب رضي الله عنه قال: (قال راقبت رسول الله ﷺ في ليلة صلاها رسول الله ﷺ كلها حتى كان مع الفجر سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله ﷺ أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي تبارك وتعالى ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي تبارك وتعالى أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها وسألت ربي عز و جل أن لا يظهر علينا عدوا غيرنا فأعطانيها وسألت ربي تبارك وتعالى أن لا يلبسنا شيعا فمنعنيها). مسند أحمد بن حنبل ١٠٨/٥، حديث ٢١٠٩١. وصححه شعيب الأرناؤوط. وعن جابر بن عتيك انه قال: (جاءنا عبد الله بن عمر في بنى معاوية قرية من قرى الأنصار فقال لي هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ من مسجدكم هذا فقلت نعم فأشرت له إلى ناحية منه فقال هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه فقلت نعم قال فأخبرني بهن فقلت دعا بأن لا يظهر عليهم عدوا من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها قال صدقت فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة). مسند أحمد بن حنبل ٤٤٥/٥، حديث ٢٣٨٠٠. وصححه شعيب الأرنؤوط.

٢٢٧ صحيح البخاري، حديث ١٩١٩.

٢٢٨ صحيح البخاري، حديث ٤٩.

ترجمةٍ وافيةٍ من كتاب الإيمان، باب (خوف المؤمن مِن أنْ يَحبَط َعملُه وهو لا يشــعُر. وقال إبراهيمُ التيمي: ما عرَضتُ قولي على عملي إلا خَشِيتُ أنْ أكونَ مُكذَّبا. وقــال ابنُ أبي مُلَيكة: أدركتُ ثلاثين من أصحابِ النبيِّ ﷺ، كلُّهم يخاف النفاقَ على نفســه، ما منهم أحدٌ يقول: إنه على إيمانِ جبريلَ وميكائيل، ويُذكَرُ عن الحَسن: ما خافَــه إلا مؤمنٌ، ولا أمِنَه إلا منافقٌ. وما يُحذَرُ من الإصرارِ على النفاقِ والعِصيانِ من غيرِ توبة؛ لقولِ الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[٢٢٩]". ورواه في كتــاب الأدب، باب (ما يُنهَى من السِّباب واللَّعْن)؛[٢٣٠] وذلك لأنَّ التنازُعَ سبَبٌ للسِّــباب واللَّعْــنِ غالبا. فانظُرْ إلى فقهِ البخاري حيث لم يكتَفِ بإيرادِ حديثِ عِمْرانَ رضي الله عنــه في (صلاة التراويح)؛ لِتَعلُّقِه بليلةِ القدر، بلْ أورَدَه كذلك في كتاب (الإيمــان) وكتــاب (الأدب) لآثارِ التنازع والتلاحي على الإيمانِ وآدابِ الخطابِ والتعامُل.[٢٣١]

المبحث الرابع: مِنّة الإيمان والاجتماع بالنص النبوي:

جَمَعَ النبيُّ ﷺ بين المِنّة بالإيمانِ والمِنَّةِ الاجتماعية بالسلام، كمــا روى البخــاري رحمه الله عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: (لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حــنين، قسم في الناس في المؤلَّفة قلوبهم، ولم يُعْطِ الأنصارَ شيئا، فكأنهم وجدوا إذْ لم يُصِبْهم ما أصاب الناس، فخطَبَهم فقال: (يا معشر الأنصار، ألم أجِدْكُمْ ضُلالا فهــداكم الله بي؟! وكنتم متفرِّقين فألَّفَكم الله بي؟! وكنتم عالةً فأغناكم الله بي؟!). كلما قال شيئا قــالوا: الله ورسوله أمَنّ، قال: (ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟). قال: كلما قــال شــيئا

---

٢٢٩ آل عمران: ١٣٥

٢٣٠ صحيح البخاري، حديث ٥٧٠٢.

٢٣١ ومنه تنازُعُهم في مرضِ موتِ النبيِّ ﷺ، وكان يريدُ أن يكتبَ لهم وَصِيةً فتنازعوا فقال: اخرجــوا؛ فإنــه لا ينبغي التنازع عندي.

قالوا: الله ورسوله أمَنّ، قال: (لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضـون أن يـذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبيِّ ﷺ إلى رِحالكم، لولا الهجرة لكنت امرءا مـن الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعْباً؛ لسلَكْتُ وادي الأنصار وشِـعْبَها، الأنصـار شعارٌ، والناس دِثارٌ، إنكم ستَلْقَوْن بعدي أثَـرَة، فاصـبِرُوا حـتى تلقَـوْني علـى الحوض). [٢٣٢]

المبحث الخامس: دور المؤاخاة في بِناءِ الوِحْدة:

فقد كانت أولى الخطوات النبوية بالمدينة: بناء المسجد: موطن العبادة لله تعـالى، وبناء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء العلاقات المنظمة للمسلمين مع غيرهم في دولة المدينة ببيان الحقوق والواجبات؛ وكل ذلك يحقق السلام الاجتماعي.

ولقد حققت المؤاخاة[٢٣٣] في دولة المدينة أهدافها: في توحيـدِ الأمـةِ، وإذهـاب وِحشة الغربة للمهاجرين، ومؤانستِهم عن مفارقة الأهلِ والعشيرة، وشدِّ أزْرِ بعضِـهم بعضاً، ومنها: نهوض الدولة الجديدة؛ لأن أيَّ دولةٍ لا يمكن أن تنهضَ وتقومَ إلا علـى أساسٍ مِن وِحْدةِ الأمةِ وتَسانُدِها، ولا يُمْكِنُ أنْ تَتِمَّ الوِحْدةُ بغيرِ عاملِ التآخي والمحبـةِ المتبادَلة؛ فكلُّ جماعةٍ لا تؤلِّفُ بينَها آصِرةَ المودّةِ والتآخِي الحقيقية؛ لا يُمْكِنُ أنْ تتَّحِـدَ حولَ مبدأ ما، وما لم يَكُن الاتحادُ حقيقةً قائمةً في الأمةِ أو الجماعةِ؛ فلا يمكن أنْ تتألَّفَ منها دَولة". [٢٣٤]

---

٢٣٢ صحيح البخاري، حديث ٤٠٧٥، [٦٨١٨].

٢٣٣ راجع في دروس المؤاخاة وثمارها الإيمانية والاجتماعية: كتاب (الهجرة النبوية ومجتمع المدينة) لمحمـد عمـر دولة.

٢٣٤ في ظلال القرآن ٣٥٢٦/٦. والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحـداث د.علـي الصـلابي ٤٨٣/١. بتصرف يسير.

المبحث السادس: دور نَبْذِ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة:

المطلب الأول: كسر الأصنام الاجتماعية من العصبيات والنعرات:

اشتهرَ العربُ في جاهليَّتِهم بالعِنايةِ بالأنساب، وكثر افتِخارُهم بِشَرفِ الأنساب، وازدراؤهم من ليس له نسبٌ شريفٌ؛ وثقافةُ ذلك العصرِ الجاهلي خيرُ شاهِدٍ.[٢٣٥] وحين ظَهَرَ الإسلام ــ دينُ الحقِّ والعَدلِ والإنصافِ ــ أقام رابطةَ الأخُوَّة الإيمانية مقامَ العَصَبيّاتِ الجاهِلية التي كانت تعتَمِدُ على الغُلُوِّ في الانتِماءِ والولاء، فقد امتنَّ الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه ﷺ بالتأييدِ بنَصرِ الله وبالمؤمنين وتأليفِ قلوبهم، فقال جلَّ جلالُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾.[٢٣٦] وبيَّنَ أنَّ الاعتِصامَ بالأُخُوَّةِ الإيمانية والسلامِ الاجتِماعي نِعْمة، وأنَّ العداوةَ نِقْمة، فقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.[٢٣٧] فمَنْ انْحطَّ عن قِيَمِ الإسلامِ؛ انتَكَسَ إلى الجاهِليةِ بتنازُعِها وفَشَلِها، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾.[٢٣٨]

---

٢٣٥ فقد كان نصيبٌ وافرٌ من الشِّعرِ العربي ــ وهو ديوان العرب ــ يحوم حول الأنساب؛ فالهجاء يتجه كثيراً إلى التعْيِيرِ بوَضاعَةِ الأنساب، بقَدْرِ ما يَتَّجِهُ غرَضان شِعْرِيّان آخَران ــ هما: الفخرُ والمدْحُ ــ إلى الثناء على شَرَفِ النَّسَب ونحو ذلك، وربما اشتمل الغرض الرابع ــ وهو الرثاء ــ على بيانِ النَّسَبِ الشريف ضِمْنَ ذِكْرِ مَحاسِنِ الأموات.

٢٣٦ الأنفال ٦٢-٦٣.

٢٣٧ آل عمران ١٠٣.

٢٣٨ الأنفال ٤٦.

والنَّعراتُ وثيقةُ الصِّلةِ بالمرجعيّة القَبَلِيّة بأحْسابها وأنسابها؛ فكان من الحكمةِ النبويةِ التوجيهُ إلى التِزامِ العَدلِ ومُراعاةِ التوازُنِ في بابِ النَّسَب؛ فإنَّ الحقَّ واسِطةٌ بين طرفَين مذمُومَين:

○ أولا: طَرَف التعصُّب للعرب والافتِخار بالنَّسَب واحتِقار العجم؛ وما يتبَعُ ذلك مِن دَعواتٍ جاهِليةٍ عصَبيَّةٍ للقومِية العربية بمعزِلٍ عن الالتزامِ بالدينِ وشريعة الإسلام.

○ وثانيا: طَرَفُ التفريطِ في حقِّ العرب أو كَراهِيَتِهم والحطِّ مِن قَدْرِهم؛ بتأثيرِ تَعالِيمِ المستَعْمِرِ الذي غَرَسَ هذه الأحقادَ،[239] مع أنَّ العرَبَ قومُ سيِّدِنا رسولِ الله ﷺ. وقد أنصَفَ النووي رحمه الله حين قال قولتَه العادِلة في شرح حديث (تَجدُونَ النَّاس مَعَادِن؛ فَخِيَارهمْ فِي الْجَاهِلِيَّة خِيَارهمْ فِي الإسْلام إِذَا فَقِهُوا[240]): "المعادِن: الأصُول؛ وَإِذَا كَانَتْ الأُصُول شَرِيفَةً كَانَتْ الْفُرُوعُ كَذَلِكَ غَالِبًا. وَالْفَضِيلَةُ فِي الإِسْلام بِالتَّقْوَى، وَلَكِنْ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا شَرَف النَّسَب ازْدَادَتْ فَضْلا".[241] فالعربُ ـ كغيرهم ـ منهم الصالح والطالح، وأكرمُهم عند الله أتقاهم؛ فليس من الإنصافِ ذَمُّهم بإطلاقٍ أو تزكيةُ جميعِهم بإطلاقٍ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قول الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾،[242] قال ابنُ عباس رضي الله عنه: "يُخبِرُه أنه كائنٌ في ذُرِّيته ظالِمٌ لا

239 كما حصَلَ في جنوب السودان بسياسة المناطِق المُقْفَلة التي حاول المستعمر أن يشوه فيها صورة أهل الشمال بغرس الكراهية في عقول بعض الجنوبيين.

240 تقدم قول النووي: (فَقُهُوا) بِضَمِّ الْقَاف عَلَى الْمَشْهُور، وَحُكِيَ كَسْرهَا، أَيْ صَارُوا فُقَهَاء وَعُلَمَاء. شرح النووي على مسلم ٢٩٨/٨.

241 شرح النووي على مسلم ٢٩٨/٨. حديث ٤٥٨٨

242 البقرة ١٢٤.

ينالُ عهدَه ولا ينبغي أنْ يُوَلِّيَه شيئاً مِن أمرِه وإنْ كان مِن ذُرِّيّةِ خليلِه، ومُحْسِنٌ ستنفذ فيه دعوته وتبلغ له فيه ما أراد من مسألته".[٢٤٣]

وقد بيَّنَ النبيُّ ﷺ للصحابةِ أنَّ الْفَخْرَ فِى الأَحْسَابِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، كما روى مسلم رحمه الله عن أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (أَرْبَعٌ فِى أُمَّتِى مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ).[٢٤٤] وعلَّمَهم ﷺ أنَّ العربَ إنما يستَمِدُّون شرَفَهم وفضلَهم من الإسلام والعملِ الصالحِ، وأما مَن ضيَّع الإسلام وأقبَلَ على القوميّةِ العربيّة أو الإفريقية أو غيرهما ينفُخُ فيها العصبيّةَ المقيتةَ فقد استَمْسَكَ بالجاهلية ووقع في فخِّ تفتيتِ العالَم الإسلامي بالقوميات والجهويات،[٢٤٥] ولله درُّ من قال:

فخَرْتَ بأصْلِك أصلٌ شريفٌ ... أضرَّتْ به نفسُك الخامِلَهْ!
وما ينفَعُ الأصلُ مِن هاشِمٍ ... إذا كانت النفسُ مِن باهِلَهْ![٢٤٦]

---

٢٤٣ تفسير ابن كثير ١٦٨/١.

٢٤٤ صحيح مسلم ٤٥/٣، حديث ٢٢٠٣.

٢٤٥ كما روى البخاري رحمه الله في باب (جهل العرب) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (إِذَا سَرَّكَ أَنْ تَعْلَمَ جَهْلَ الْعَرَبِ فَاقْرَأْ مَا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٠). صحيح البخاري ٣٥١/١١، حديث ٣٢٦٢.

٢٤٦ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ٣٦/١. ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني-١٥٢/١. قال البغدادي: "باهلة: قبيلة منحطة بين العرب. ولذا قيل: [وما ينفع الأصل من هاشم * إذا كانت النفس من باهله!] روي أن قتيبة بن مسلم الباهلي مازح أعرابياً جافياً، فقال: أيسرك أن تكون باهلياً؟ فقال: لا والله. قال: فتكون باهلياً خليفة؟ قال: لا والله، ولو أن لي ما طلعت عليه الشمس، قال: فيسرك أن تكون باهلياً، وتكون في الجنة؟ فأطرق، ثم قال: بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني باهلي! فضحك من قوله". خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ٣٠٣/٣.

فالعربُ لا يُنكَرُ فضلُهم ولا يُتعَصَّبُ لهم ولا لغيرِهم: و"إنَّ اختِيارَ الله تعالى لِنَبيِّه محمدٍ ﷺ من العرب؛ يقتضي من المسلمِ أنْ يُحِبَّهم من حيث الجنس، لا مــن حيــث الأفراد؛ لأنَّ الأفرادَ قد ينحَرِفُون عن الإسلام؛ فينبغي هنا كُرْهُ أفْعالِهم المنحَرِفــة، لا كُرْهَ جِنْسِهم العربي".[247] فلا بُدَّ مِن احتِرامِ العربِ وإنــزالِهم مَنــازِلَهم؛ فهــم إذا استقاموا خيرُ من يَحمِلُ أمانةَ الدين؛ وهم أهلُ اللسانِ وقد بُعِثَ الرســولُ ﷺ مِــن بَينِهم، وشَبَّ في ديارِهم، وجاء القرآنُ بلِسانِهم، ونزلَ الوَحيُ بين ظهرانيهم. وقد قال زهير:

ومــا يَكُ مِن خَيْرٍ أَتَوْهُ فإنَّما ... توارثَهُ آباءُ آبائهــم قبــلُ!

وَهَل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشيجُهُ ... وَتُغْرَسُ إلا في مَنابِتِها النَخلُ؟

---

٢٤٧ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، لمهدي رزق الله ١/ ١١٠- ١١١. دار إمام الــدعوة، الريــاض، ط٢، ١٤٢٤هــ. ومن يُنكِرُ حقَّ قريشٍ في الإمامة العامة وقد صحَّ الحديثُ في ذلك؟! كما روى البخاري في باب (الأمراء من قريش) عن معاوية رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ هَذَا الأَمْرَ فِــي قُــرَيْشٍ لَــا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ). صحيح البخاري ٢٢/٤٥، حديث ٦٦٠٦. وعن ابْنِ عُمَرَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ). صحيح البخاري ٢٢/٤٦، حديث ٦٦٠٧. ورواه مسلم في افتتاح كتاب الإمارة باب (النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ وَالْخِلافَةُ فِي قُرَيْشٍ). صحيح مسلم ٩/٣٢٨. قال النووي رحمه الله: "قوْله ﷺ: (النَّاس تَبَع لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْن مُسْــلِمهمْ لِمُسْــلِمِهِمْ وَكَــافِرهمْ لِكَافِرِهِمْ)، وَفِي رِوَايَة: (النَّاس تَبَع لِقُرَيْشٍ فِي الْخَيْر وَالشَّرّ)، وَفِي رِوَايَة: (لا يَزَال هَذَا الْأَمْر فِي قُرَيْش مَا بَقِيَ مِنْ النَّاس اِثْنَانِ)، وَفِي رِوَايَة الْبُخَارِيّ: (مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اِثْنَانِ)، هَذِهِ الأَحَادِيث وَأَشْبَاههَا دَلِيل ظَاهِر أَنَّ الْخِلافَة مُخْتَصَّة بِقُرَيْشٍ، لا يَجُوز عَقْدهَا لأَحَدٍ مِنْ غَيْرهمْ، وَعَلَى هَذَا اِنْعَقَدَ الإِجْمَاع فِي زَمَن الصَّحَابَة، فَكَذَلِكَ بَعْــدهمْ، وَمَــنْ خَالَفَ فِيهِ مِنْ أَهْل الْبِدَع أَوْ عَرَّضَ بِخِلَافٍ مِنْ غَيْرهمْ فَهُوَ مَحْجُوج بِإِجْمَاعِ الصَّحَابَة وَالتَّــابِعِينَ فَمَــنْ بَعْــدهمْ بِالأَحَادِيثِ الصَّحِيحَة. قَالَ الْقَاضِي: اِشْتِرَاط كَوْنه قُرَشِيًّا هُوَ مَذْهَب الْعُلَمَاء كَافَّة، قَال: وَقَدْ اِحْتَجَّ بِهِ أَبُــو بَكْــر وَعُمَر رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ عَلَى الأَنْصَار يَوْم السَّقِيفَة، فَلَمْ يُنْكِرهُ أَحَد، قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ عَدَّهَا الْعُلَمَاء فِــي مَسَــائِل الإِجْمَاع، وَلَمْ يُنْقَل عَنْ أَحَد مِنْ السَّلَف فِيهَا قَوْل وَلا فِعْل يُخَالِف مَا ذَكَرْنَا، وَكَذَلِكَ مَنْ بَعْــدهمْ فِــي جَمِيــع الأَعْصَار". شرح النووي على مسلم ٦/٢٨١.

فالحقُّ والإنصافُ في تركِ التعصُّبِ للعربِ أو العَجم، وعدمِ احتِقارِ أيٍّ من الفريقَيْن أو استِنقاصِهم على أساسٍ عِرقيٍّ. وهل يُعابُ الإنسانُ بشيءٍ ليس له فيه اختيار؟! فلْنَحْذَرْ مِن أنْ يتحوَّلَ الغُلُوُّ في اعتِبارِ الأنسابِ إلى الانحرافِ في عَصَبيَّاتٍ مذمُومةٍ أو السقوطِ في انتقاص الآخرين واحتِقارِهم! وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ من ذلك في سِياقِ حُقوقِ المسلمِ وحُرْمةِ عِرْضِه ومالِه ودَمِه، فقال ﷺ: (المسلِمُ أخو المسلِمِ، لا يَخُونُه ولا يُكَذِّبه ولا يَخْذِلُه، كلُّ المسلِمِ على المسلِمِ حَرامٌ: عِرْضُه ومالُه ودمُه، التقوى ههنا! بِحَسَبِ امرىءٍ مِن الشرِّ أنْ يَحْتقِرَ أخاه المسلِم).[248] وإنما أطلتُ في هذه المسألةِ لخطورتِها وقِلّةِ الكتابةِ فيها والتغطية الإعلامية لها مع شدةِ حاجَتِنا إلى بيانِها والتفصِيلِ فيها؛ فلم يكنْ النبيُّ ﷺ وهو أشرَفُ العربِ نَسَباً داعِيةً إلى القوميةِ العربيةِ! ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾![249] بل كان ﷺ يدعُو إلى التقوى والصلاح، ولا يرى للعربيِّ فضلا على الأعجَمِيِّ إلا بالتقوى والعلم النافِع والعمل الصالح؛ فإنَّ الناسَ لآدم، وآدم من تراب!

المطلب الثاني: النسَبُ للتعارُف وليس للتفاضل والتفاخُر:

النسَبُ للتعارُف كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.[250] وليس للتفاخُر: قال الزمخشري رحمه الله:[251] "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ مِن آدم وحواء، وقيل:

---

٢٤٨ رواه الترمذي رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، سنن الترمذي ٣٢٥/٤. حديث ١٩٢٧. كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم. قال الترمذي: حسن غريب. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

٢٤٩ يوسف: ٣١ و٥١.

٢٥٠ الحجرات ١٣.

٢٥١ الكشاف للزمخشري ٣٧٧/٤. قال: والشَّعْبُ الطبقةُ الأولى من الطبقاتِ الستِّ التي عليها العربُ، وهي الشَّعب والقبيلة والعِمارة والبطنُ والفَخِذ والفصِيلة؛ فالشَّعب يجمعُ القبائل، والقبيلةُ تجمع العمائر، والعِمارةُ تجمع

خَلَقْنا كلَّ واحدٍ منكم مِن أبٍ وأمٍّ؛ فما منكم أحدٌ إلا وهو يُدْلِي بِمِثلِ ما يُدْلِي به الآخَرُ سَواءً بِسَواءٍ؛ فلا وجهَ للتفاخُرِ والتفاضُلِ في النَّسَب".[٢٥٢] وقال السيوطي رحمه الله: "﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[٢٥٣] لا لِتَفاخَروا بِعُلُوِّ النَّسَب، وإنما الفَخرُ بالتقوى؛ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾".[٢٥٤] وما أحسنَ قولَ ابنِ كثير رحمه الله: "يقول تعالى مُخْبِراً للناس أنه خلقَهم من نفسٍ واحدةٍ وجعلَ منها زوجَها، وهما آدمُ وحواءُ، وجعلَهم شُعوباً... فجميعُ الناسِ في الشرفِ بالنسبةِ الطِّينية إلى آدمَ وحواءَ عليهما السلام سواءٌ؛ وإنما يتفاضَلُون بالأمُورِ الدِّينية وهي طاعةُ الله تعالى ومُتابَعةُ رسولِه ﷺ؛ ولهذا قال تعالى بعد النهيِ عن الغِيبة واحتِقارِ بعضِ الناس بعضاً مُنبِّها على تساويهم في البشرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾:[٢٥٥] أي لِيَحْصلَ التعارفُ بينهم؛ كلٌّ يرجعُ إلى قبيلتِه، وقال مجاهد في قولِه عزَّ وجل: ﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ كما يُقال فلان بن فلان من قبيلةِ كذا وكذا، وقد قال الترمذي... عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال:

البُطون، والبطنُ تجمع الأفخاذ، والفَخِذُ تجمعُ الفصائل، خزيمة شَعب، وكِنانةُ قبيلة، وقريشٌ عِمارةٌ بكسر العين وقُصَيٌّ بطن، وهاشم فَخِذ، والعباسُ فصيلة.

٢٥٢ ورَحِمَ الله الغزالي فقد قال: "فمن يعتريه الكِبْرُ مِن جهة النسَب لِيُداوِ قلبَه بمعرفة أمرين: أحدهما: أنَّ هذا جهلٌ من حيث إنه تعزَّزَ بكمالِ غيره، ولذلك قيل: [لئن فخرتَ بآباءٍ ذوي شَرَفٍ * لقد صَدَقتَ ولكِنْ بئسَ ما وَلَدُوا!] فالْمُتكبِّرُ بالنَّسَب إنْ كان خسيساً في صفاتِ ذاته فمن أين يَجْبُرُ خِسَّتَه بكمالِ غيرِه؟!.. الثاني: أنْ يعرفَ نَسَبَه الحقيقي؛ فيعرف أباه وجدَّه؛ فإنَّ أباه القريبَ نُطْفةٌ قَذِرةٌ، وجَدَّه البعيدَ ترابٌ ذليلٌ، وقد عرَّفَه الله تعالى نَسَبَه فقال: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨﴾. السجدة ٧-٨. فمَن أصْلُهُ الترابُ الْمَهِينُ الذي يُداسُ بالأقدامِ ثم خُمِّرَ طِينةً حتى صار حَمأً مَسْنُوناً كيف يتكبر؟ وأخَسُّ الأشياءِ ما إليه انتِسابُه؛ إذْ يقال: يا أذَلَّ من التراب! ويا أنتنَ من الحمأة! ويا أقذَرَ من المضغة!".إحياء علوم الدين ٤٧/٣.

٢٥٣ الحجرات ١٣.

٢٥٤ تفسير الجلالين ٦٨٧/١. للسيوطي والمحلي.

٢٥٥ الحجرات ١٣.

(تعلَّمُوا مِن أنسابِكم ما تَصِلُون به أرحامَكم؛ فإنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحبةٌ في الأهلِ مَثْراةٌ في المالِ مَنْسَأةٌ في الأثر)[٢٥٦]". [٢٥٧]

المطلب الثالث: منع الإساءة العرقية وحزم النبيِّ ﷺ مع زلة أبي ذر:

وقد ربَّى النبيُّ ﷺ الصحابةَ على احترامِ الآخرين على اختِلاف قبائلِهم، ومنَعَ الإساءةَ للعجم، وكان ﷺ في غايةِ الحزمِ مع زَلَّةِ أبي ذر رضي الله عنه؛ فلَيسَتْ رِسالةُ النبِيِّ ﷺ دعوةً عِرْقيةً أو عَصَبيةً قوميةً! وقد قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حين عيَّرَ رجلا بأُمِّه: (إنك امرؤٌ فيك جاهلية). كما روى البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان، باب (المعاصي من أمرِ الجاهِلية ولا يكفر صاحبُها) عن المعرور بن سويد رضي الله عنه قال: (لقيتُ أبا ذَرٍّ بالرَّبذة وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامِه حُلَّة؛ فسألتُه عن ذلك، فقال: إني سابَبتُ رجلا؛ فعيَّرْتُه بأمه؛ فقال لي النبيُّ ﷺ: يا أبا ذَرٍّ أعيَّرْتَه بأمِّه؛ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانُكم خوَلُكم جعلَهم الله تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يدِه فلْيُطْعِمْه مما يأكلُ ولْيُلْبِسْه مما يلبسُ ولا تُكلِّفُوهم ما يغلبُهم؛ فإنْ كلَّفْتُموهم فأعِينُوهم). [٢٥٨] ورواه في كتاب الأدب، باب (ما يُنْهَى من السِّبابِ واللَّعن) بلفظ: (كان بيني وبين رجلٍ كلامٌ وكانت أمُّه أعجَمِيةً؛ فنِلتُ منها فذكرني إلى النبيِّ ﷺ فقال لي: أسابَبْتَ فلانا؟ قلتُ: نعم! قال: أفنِلْتَ مِن أمِّه؟ قلتُ: نعم! قال: إنك امرؤ فيك جاهلية! قلتُ: على حين ساعتِي هذه من كِبَرِ السن؟! قال: نعم). [٢٥٩] ورواه مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان، باب (إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس) بلفظ (يا أبا ذرٍّ إنك

---

٢٥٦ صححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته ١/ ٥٢٨، حديث ٥٢٧٦. وفي صحيح الجامع رقم : ٢٩٦٥.

٢٥٧ تفسير ابن كثير ٤/٢١٩.

٢٥٨ صحيح البخاري ١/٢٠، حديث ٣٠.

٢٥٩ صحيح البخاري ٥/٢٢٤٨. حديث ٥٧٠٣.

امرؤ فيك جاهِلية! قلتُ: يا رسولَ الله مَن سَبَّ الرجالَ؛ سبُّوا أباه وأمه! قال: يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية).[٢٦٠]

فالكرم بتقوى الله تعالى، ولقد أحْسَنَ أبو العتاهية حين قال:

وَإذا تَناسَبَتِ الرِجالُ فَما أَرى * نَسَباً يُقاسُ بِصالِحِ الأَعمالِ!

وقال ابنُ كثير رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾:[٢٦١] أي إنما تتفاضَلُون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب. وقد وردَتْ الأحاديثُ بذلك عن رسولِ الله ﷺ قال البخاري... عن أبي هريرة قال: (سئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ الناس أكرَمُ؟ قال: أكرَمُكم عند الله أتقاكم؛ قالوا: ليس عن هذا نسألُك! قال: فأكرَمُ الناسِ يوسفُ نبيُّ الله بن نبيِّ الله بن نبيِّ الله بنِ خليلِ الله! قالوا: ليس عن هذا نسأُلك! قال: فعن مَعادِنِ العرب تسألوني؟ قالوا: نعم! قال: فخِيارُكم في الجاهلية خِيارُكم في الإسلام إذا فَقِهُوا)".[٢٦٢]

المطلب الرابع: تعليم الصحابة مبدأ مَن أبطأ به عَمَلُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه:

فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.[٢٦٣] قال ابن كثير رحمه الله: "يُخبِرُ تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور وقام الناس من القبور ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: أي لا

---

٢٦٠ صحيح مسلم ٣/١٢٨٢، حديث ١٦٦١. وهو في سنن أبي داود ٤/٣٤٠، حديث ٥١٥٧.كتاب الأدب، باب في حق المملوك

٢٦١ الحجرات ١٣.

٢٦٢ تفسير ابن كثير ٤/٢١٩.

٢٦٣ المؤمنون ١٠١-١٠٤.

تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه".[٢٦٤] فيومئذ لا تنفع الأنساب: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾، ولا نَسَبَ ولا صِلَةَ ولا خُلَّة إلا بالتقوى، كما قال الله عز وجل: (الْأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ).[٢٦٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما: "فكلّ خُلَّةٍ هي عداوةٌ إلا خُلَّةَ المتقين".[٢٦٦] وقال ابن كثير رحمه الله: "أي: كل صداقة وصحبة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه".[٢٦٧]

وقد خَتَمَ النبيُّ ﷺ حديثَه الحافل بالأعمال الصالحة (تنفيسا للكرب وسترا على المسلم وإعانةً وتعلُّماً واجتماعاً على تلاوة القرآن) بنفي التعلُّق بالأنساب إذا فُقِدَت الأعمال! فقد روى مسلم رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ! وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ).[٢٦٨]

---

٢٦٤ تفسير ابن كثير ٤٩٥/٥.

٢٦٥ الزخرف ٦٧-٧٠.

٢٦٦ تفسير الطبري ٦٣٨/٢١.

٢٦٧ تفسير ابن كثير ٢٣٧/٧.

٢٦٨ صحيح مسلم ٢١٢/١٣، حديث ٤٨٦٧.

قال النووي رحمه الله: "(وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَله لَمْ يُسْرِع بِهِ نَسَبه) مَعْنَاهُ: مَنْ كَانَ عَمَله نَاقِصًا؛ لَمْ يُلْحِقهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَاب الأَعْمَال؛ فَيَنْبَغِي أَلا يَتَّكِل عَلَى شَرَف النَّسَب وَفَضِيلَة الآبَاءِ وَيُقَصِّر فِي الْعَمَل".[٢٦٩] وقال النسفي رحمه الله: "(مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) أَيْ مَنْ لَمْ يَتَقَدَّمْ بِحُسْنِ عَمَلِهِ لَمْ يَشْرُفْ بِنَسَبِهِ".[٢٧٠] وقال ابنُ الأثير رحمه الله: "(من أبَطَّأ به عمُله لم يَنْفعْه نسبُه) أي من أخَّره عمله السَّيّء وتفريطُه في العمل الصالح لم ينفعْه في الآخرة شرَفُ النَّسَب".[٢٧١] وقال الغزالي رحمه الله مذكِّراً بعدمِ فخرِ العقلاء بأصلٍ هو التراب وفصلٍ هو المضغة تنفيراً من الاغترار بالنسَب: "فالأصل يوطأ بالأقدام، والفصلُ تُغْسَلُ منه الأبدان. فهذا هو النَّسَبُ الحقيقيُّ للإنسان؛ ومَنْ عَرَفَه؛ لم يتكبَّرْ بالنَّسَب".[٢٧٢] وقال محمد بن النضر الحارثي رحمه الله: "من فاته حَسَبُ نفسه ــ يعني الدين ــ لم ينفَعْه حَسَبُ أبيه"![٢٧٣] وقد "روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: قلت لجعفر بن سليمان بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي والي المدينة: احذر أن يأتي رجل غداً ليس له في الإسلام نسب ولا أب ولا جد؛ فيكون أولى برسول الله ﷺ منك، كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط من زوجتيهما، وكما كانت زوجة لوط أولى بفرعون من زوجته، من أبطأ به عمَلُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه، ومن أسرع به عملُه لم يبطئ به نَسَبُه".[٢٧٤] وقال ابنُ تيمية رحمه الله: "إنَّ تعلِيقَ الشَّرَفِ في الدين بِمُجردِ النسَبِ هو حُكمٌ مِن أحكامِ الجاهلية الذين اتبعَتْهم

---

٢٦٩ شرح النووي على مسلم ٦٣/٩.

٢٧٠ طلبة الطلبة للنسفي ٥٨/٢.

٢٧١ النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٣٤٧/١. وقال: يقال:بَطَّأ به وأبْطَأ به بمعنًى.

٢٧٢ إحياء علوم الدين للغزالي ٤٨/٣.

٢٧٣ المقاصد الحسنة للسخاوي ٢٠٨/١.

٢٧٤ سراج الملوك للطرطوشي ٢٩/١.

عليه الرافضةُ وأشباهُهم من أهلِ الجهل؛ فإنَّ الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [٢٧٥]، وقال النبيُّ ﷺ: (لا فضلَ لعربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعجَمِي على عربي، ولا لأسوَدَ على أبيضَ، ولا لأبيَضَ على أسودَ إلا بالتقوى؛ الناسُ من آدم وآدم من تراب)؛ ولهذا ليس في كتاب الله آيةٌ واحِدةٌ يَمْدَحُ فيها أحداً بِنَسَبِه ولا يَذُمُّ أحداً بِنَسَبِه؛ وإنما يَمدَحُ الإيمانَ والتقوى، ويذُمُّ الكُفرَ والفُسوقَ والعِصيان. وقد ثبَتَ أنه ﷺ في الصحيحِ قال: (أربعٌ مِن أمرِ الجاهليةِ في أُمتِي لن يَدَعُوهن: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والنياحةُ، والاستسقاءُ بالنجوم)؛ فجعلَ الفَخرَ بالأحسابِ مِن أُمورِ الجاهليةِ". [٢٧٦]

ولله دَرُّ القائل:

لعمـرُك ما الإنسانُ إلا بدينِـهِ	فلا تترُك التقوَى اتِّكالاً على النَّسَبْ!
لقـد رفَعَ الإسلامُ سلمانَ فـارسٍ	وقد وضَعَ الشِّركُ الشَّقِيَّ أبا لَهَـبْ!
فمـا الحسَبُ المـورُوثُ لا درَّ دَرُّهُ	لِمُحْتَسِبٍ إلا بآخَـرَ مُكْتَسَـبْ!
إذا الغُصْنُ لم يُثْمِرْ وإنْ كان شُعْبةًمن	الْمُثْمِرات اعتدَّهُ الناسُ في الحَطَبْ! [٢٧٧]

المطلب الخامس: النهي عن النعرات والعصبيات القومية:

فقد جاء الشرعُ بذَمِّ الدعوات القومية التي لا تزيد المسلمين إلا تفرُّقًا! فهي مِعْوَلُ هَدْمٍ للإسلام؛ ولذلك ترى المؤسِّسين للدعواتِ القومية في العالم الإسلامي ممن لا يعترفون بالشريعة الإسلامية مُصْلِحةً لحياةِ الناس! وإنما العِبرةُ عندهم بالعُرُوبة فحسب!

---

٢٧٥ الحجرات ١٣.

٢٧٦ دقائق التفسير لابن تيمية ٢/٢٢-٢٤.

٢٧٧ آداب العلماء والمتعلمين للحسين بن منصور اليمني ٢٧/١.

وهل أغْنَتْ العُرُوبةُ عن أصحابها شيئاً؟! كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.[٢٧٨] وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.[٢٧٩]

قال الشنقيطي رحمه الله: "واعلَمْ أنَّ رؤساء الدُّعاةِ إلى نحو هذه القوميةِ العربية أبو جهل وأبو لهب والوليد بن المغيرة ونظراؤهم من رؤساءِ الكَفَرَة، وقد بيَّنَ تعالى تَعَصُّبَّهم لِقَوميَّتِهم في آياتٍ كثيرةٍ: كقوله: (قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا)،[٢٨٠] وقوله: (قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا)[٢٨١] وأمثال ذلك من الآيات. واعلَمْ أنه لا خِلافَ بين العلماء في مَنعِ النداءِ برابطةٍ غيرِ الإسلام كالقومياتِ والعصَبيات النَّسَبية؛ ولا سيما إذا كان النِّداءُ بالقوميةِ يُقصَدُ مِن ورائه القضاءُ على رابطةِ الإسلام وإزالتِها بالكُلِّيةِ؛ فإنَّ النداءَ بها حينئذ معناه الحقيقي أنه نِداءٌ إلى التخلي عن دينِ الإسلام ورفضِ الرابطةِ السماوية رَفضاً باتاً على أنْ يعتاضَ من ذلك روابطَ عصبيةً قوميةً مَدارُها على أنَّ هذا من العربِ، وهذا منهم أيضاً مثلا؛ فالعُروبةُ لا يُمكِنُ أنْ تكونَ خَلَفاً من الإسلام، واستبِدالُها به صَفقةٌ خاسِرةٌ؛ فهي كما قال الراجز:

بُدِّلت بالْجُمَّةِ رأساً أزْعَرا[٢٨٢] وبالثنايا الواضِحات الدُّرْدُرا[٢٨٣]

---

٢٧٨ آل عمران ١٦٤. والجمعة ٢.

٢٧٩ آل عمران ١٠٣.

٢٨٠ الآية بتمامها: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عليه ءاباءنآ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون). المائدة ١٠٤.

٢٨١ الآية بتمامها: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبعُ مآ ألفينا عليه ءابآءنآ أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون). البقرة ١٧٠.

٢٨٢ الأزعر من الزَّعَر، وهو قِلَّة الشَّعَر. ورجلٌ أزعرُ وامرأةٌ زعراء. الاشتقاق لابن دريد ١٣٦/١.

٢٨٣ في الفَمِ الدُّرْدُر: مَغَارِز الأسنان في العَظْم. المخصص لابن سيده ٨٧/١.

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لا يخفى. وقد بيَّنَ الله جلَّ وعلا في مُحكَمِ كتابه أنَّ الحكمةَ في جَعلِهِ بني آدم شُعوباً وقبائلَ هي التعارُفُ فيما بينَهم؛ وليست هي أنْ يَتعصَّبَ كلُّ شَعبٍ على غيرِه، وكلُّ قبيلةٍ على غيرِها، قال جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾؛[284] فاللام في قوله: ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ لام التعليل، والأصلُ [لِتتَعارَفُوا]، وقد حُذِفَت إحدى التاءين؛ فالتعارُفُ هو العِلةُ المشتَمِلة على الحكمةِ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾".[285]

وخِيارُ الناسِ في الجاهِلِيةِ خِيارُهم في الإسلامِ إذا فقهوا: كما روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سئل رسولُ الله ﷺ: مَن أكرَمُ الناس قال: أتقاهم لله، قالوا: ليس عن هذا نسألك! قال: فأكرمُ الناسِ يوسفُ نبيُّ الله بن نبيِّ الله بن نبيِّ الله بن خليلِ الله! قالوا: ليس عن هذا نسألك! قال: فعَن مَعادِنِ العرب تسألونني؟ الناسُ معادِنُ؛ خِيارُهم في الجاهليةِ خِيارُهم في الإسلامِ إذا فَقِهُوا).[286] وفي روايةٍ: (تَجدُون الناسَ معادِن: خِيارُهم في الجاهلية خِيارُهم في الإسلام؛ إذا فقهوا. وتجدون خيرَ الناس في هذا الشأنِ أشَدَّهم له كراهِيةً، وتَجدُون شَرَّ الناسِ ذا الوجهَين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ ويأتي هؤلاء بوجهٍ).[287] وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (الناسُ تبَعٌ لقريشٍ في هذا الشأن: مُسْلِمُهم تَبَعٌ

---

٢٨٤ الحجرات ١٣.

٢٨٥ أضواء البيان للشنقيطي ٣/٤٤-٤٥.

٢٨٦ صحيح البخاري ٣/١٢٣٨، حديث ٣٢٠٣.كتاب الأنبياء، باب (قول الله: لقد كان في يوسف وإخوته آيات).

٢٨٧ صحيح البخاري ٣/١٢٨٨، حديث ٣٣٠٤. كتاب المناقب باب قول الله (يا أيها الناس إنَّا خلَقْناكم من ذكرٍ وأنثى).

لِمُسْلِمِهم، وكافِرُهم تبَعٌ لكافرِهم، والناسُ مَعادِنُ: خِيارُهم في الجاهِلِيةِ خِيارُهم في الإسلامِ إذا فقهوا، تجدُون من خيرِ الناسِ أشدَّ الناسِ كراهِيةً لهذا الشأنِ حتى يَقَعَ فيه). [٢٨٨] ورواه مسلم بلفظ: (الناسُ مَعادِنُ كمعادنِ الفضة والذهب؛ خِيارُهم في الجاهلية خِيارُهم في الإسلام إذا فقِهوا، والأرواحُ جُنودٌ مُجنَّدة؛ فما تعارَفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلف). [٢٨٩] ورواه ابن حبان بلفظ: (الناسُ مَعادِنُ في الخير والشر، خيارُهم في الجاهلية، خِيارُهم في الإسلام إذا فقهوا). [٢٩٠]

وقد نهى النبيُّ ﷺ عن دعوى الجاهلية، كما روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كنا في غزاةٍ فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا لَلأنصار! وقال المهاجري: يا لَلمهاجرين! فسمع ذاك رسولُ الله ﷺ فقال: ما بالُ دعوى جاهليةٍ؟! قالوا: يا رسولَ الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار؛ فقال: دَعُوها فإنها مُنتِنة! فسمع بذلك عبدُ الله بن أُبَي فقال: فعلُوها أما والله (لئن رجَعْنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذل)؛ فبلغ النبيَّ ﷺ فقام عمرُ فقال: يا رسولَ الله دَعْني أضرِبْ عنقَ هذا المنافق؛ فقال النبيُّ ﷺ: دَعْهُ؛ لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتلُ أصحابَه وكانت الأنصارُ أكثرَ من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إنَّ المهاجرين كثروا بعد). [٢٩١] ورواه أيضاً مسلم رحمه الله بزيادةٍ:

---

٢٨٨ صحيح البخاري ١٢٨٨/٣. حديث ٣٣٠٥. كتاب المناقب، باب (قول الله يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى).

٢٨٩ صحيح مسلم ٢٠٣١/٤، حديث ٢٦٣٨. كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة.

٢٩٠ صححه ابن حبان في صحيحه ٢٩٤/١، ح ٩٢. كتاب العلم. وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢٩١ صحيح البخاري ١٨٦١/٤. حديث ٤٦٢٢. كتاب التفسير، باب قوله: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر). وباب قوله (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن...) صحيح البخاري ٤/ ١٨٦٣. حديث ٤٦٢٤. صحيح مسلم ٤/ ١٩٩٨. حديث ٢٥٨٤. كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما.

(كسعَ رجلٌ من المهاجرين رجلا من الأنصار فأتى النبيَّ ﷺ فسأله القوَد! فقال النبيُّ ﷺ: دَعُوها؛ فإنَّها منتِنةٌ)![٢٩٢] وقد قال ابنُ حبان رحمه الله: "قوله ﷺ: (فإنها مُنتِنةٌ) يريد أنه لا قصاصَ في هذا، وكذلك قولهم: فإنها ذميمةٌ وما أشبَهَها".[٢٩٣] وقال ابنُ الأثير رحمه الله في مادة (نتن): "فيه (ما بالُ دَعوى الجاهليةِ دَعُوها؛ فإنها مُنتِنةٌ) أي: مَذمُومةٌ في الشَّرعِ مُجتَنبة مكرُوهةٌ كما يُجْتَنَبُ الشيءُ النَّتِن يريد قولَهم (يا لَفلان!)، ومنه حديث بدر: (لو كان المطعِمُ بن عَدِي حياً فكلَّمَني في هؤلاء النَّتْنى؛ لأطلَقْتُهم له) يعني أُسارَى بدر، واحِدُهم نَتِنٌ كزَمِن؛ سَمَّاهم نَتْنى لِكُفْرِهم كقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ)".[٢٩٤]

ولا ريبَ أنَّ الإسلامَ دعوةٌ إنسانيةٌ جامِعة، تتجاوزُ الأعراقَ والقبائلَ والشعوبَ، وتسمو إلى الإنسانية الرَّحْبة، وقد بُعِثَ إلى الناسِ كافةً ﷺ؛ فلا فرقَ بينَهم في الحقوق والواجبات؛ وأكرَمُهم أتقاهم! وقد أكَّد النبيُّ ﷺ في خطبة الوداعِ على تركِ ثاراتِ الجاهلية ونَبْذِ نَعراتِها التي تتنافى مع مبدأ الأخُوَّةِ الإسلامية؛ ولذلك جاء التعبيرُ النبوي بِوَضْعِ دماءِ الجاهليةِ تحت القدمَيْن الشَّريفتَين في غايةِ البلاغة: (وأنَّ كلَّ دمٍ كان في الجاهليةِ موضوعٌ، وإنَّ أولَ دمائكم أضعُ دمُ ابنِ ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مُسترضَعاً في بني ليثٍ فقتلَته هُذَيل؛ فهو أولُ ما أبدأ به من دماءِ الجاهلية). وهذا يتفقُ مع دعوةِ الإسلامِ إلى السماحةِ والسلام الاجتماعي وكَوْنِ الإسلامِ يَجُبُّ ما قبلَه. فهي تجديدٌ للتاريخِ العربي تطوِي صَفحةً جاهِليةً مُظلِمةً، وتبني صَفحةً إسلاميةً ناصِعةً مُشرِقةً. ومن الناحية الإنسانية ورَدَ في بعضِ الروايات: التأكيدُ على عدمِ التفاضُلِ بين الناس على اختلافِ أجناسِهم وألوانِهم إلا بالإيمان والتقوى: (أيها الناس

٢٩٢ صحيح مسلم ٤/١٩٩٩. حديث ٢٥٨٤. كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما.

٢٩٣ صحيح ابن حبان ١٤/٥٤٤. حديث ٦٥٨٢. كتاب التاريخ، باب كتب النبيِّ.

٢٩٤ النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ٥/١٤. حرف النون. مادة (نتن).

إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، كلكم لآدم وآدم من تراب، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم. ليس لعربيٍّ فضلٌ على عجَميٍّ إلا بالتقوى. ألا هل بلَّغت؟ اللهم فاشهَدْ، فليبلِّغ الشاهدُ منكم الغائب). فصلى الله وسلم وبارك على مَن أكرَمَه الله بالرسالة الخاتمة وشهدَ له بالبلاغ والبشارةِ والنذارةِ وأنزلَ عليه قولَه تعالى: (اليومَ أكمَلتُ لكم دينَكم وأتْمَمتُ عليكم نعمتِي ورَضيتُ لكم الإسلامَ دِيناً).[٢٩٥] وهو يسألُ: (ألا هلْ بلَّغتُ؟ ألا هلْ بلَّغتُ؟ ألا هلْ بلَّغتُ؟ اللهم فاشْهَدْ)! ورَحِم الله ابنَ كثير حيث قال: "وقد شَهِدَت له أُمتُه بإبلاغِ الرسالة وأداءِ الأمانةِ واستنطقَهم بذلك في أعظمِ المحافلِ في خُطبتِه يومَ حجةِ الوداع وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفاً كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في خُطبتِه يومئذ: (أيها الناس إنكم مسؤولون عنِّي فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهدُ أنك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصَحتَ! فجعلَ يرفعُ أصبعَه إلى السماء ويُنكِّسُها إليهم، ويقول: اللهم هل بلَّغت؟).[٢٩٦]

فما أحسنَ أنْ نتذكرَ هذه المبادئَ القيِّمة والوصايا النافِعة التي أكَّدَها النبيُّ ﷺ في خطبةِ الوداع: فمِن هذه المبادىء العقدية: مبدأ الاعتصام بالكتاب والسنة، وترك التشريع بالهوى واتباع الجاهلية. وبسببِ التساهُل في الالتزامِ بهذه الوصيةِ دخلَت البِدَعُ والخلافات. ومن المبادىء الاجتماعية: حُرمةُ سَفكِ الدماءِ بغيرِ حق، والحرصُ على الأخُوةِ والسلام الاجتماعي ونبذُ النزاعاتِ والنعراتِ والثاراتِ الجاهلية؛ ولأجلِ التفريط في هذا المبدأ كذلك أصابَتْ المسلمين كثيرٌ من الفِتَنِ الداخلية. ومن المبادىء الأُسَرية: مبدأ الوَصيةِ بالإحسانِ إلى المرأةِ والعناية بالأسرةِ والمحافظة على الأنساب.

---

٢٩٥ المائدة ٣.

٢٩٦ تفسير ابن كثير ٢/٧٨.

المطلب السادس: النهي عن القتال للحَمِية والعَصَبية:

كان ﷺ ينهى عن القتالِ للعَصَبية والحَمِية الجاهلية، ويقول ﷺ: (من قاتلَ لِتكونَ كلمةُ الله هي العُليا؛ فهو في سبيلِ الله). فقد أنكرَ ﷺ العَصَبيةَ التي تُفـرِّقُ الصُّـفوفَ وتدعُو إلى التنازُعِ وسَفْكِ الدماء: (أيها الناسُ إنَّ دماءكم وأموالَكم عليكم حرامٌ إلى أنْ تلقَوْا ربَّكم كحُرمةِ يومِكم هذا، وكحُرمةِ شَهرِكم هذا، وإنكم سـتلقَوْن ربَّكـم فيسألكم عن أعمالِكم وقد بلَّغت؛ فمَن كان عندَه أمانةٌ فلْيؤدِّها إلى مَن ائتمنه عليهـا، وإنَّ كلَّ رِباً موضُوعٌ، ولكن لكم رءوسُ أموالِكم لا تَظلِمُون ولا تظلَمُون. قضـى الله أنه لا ربا، وإنَّ ربا عباس بن عبد المطلب موضُوعٌ كله). ولله درُّ ابن عطية حيث قال: "(ألا كل ربا في الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب)؛ فبـدأ ﷺ بمن معه وأخصِّ الناسِ به؛ وهذه من سُنَنِ العَدْلِ للإمام: أن يُفِيضَ العَـدْلَ علـى نفسِه وخاصَّتِه؛ فيستفِيضَ حينئذ في الناسِ".[٢٩٧]

المطلب السابع: عدالة الإسلام فوق الأنساب والأحساب:

لقد أرسلَ الله عز وجل نبيَّنا محمداً ﷺ ﴿رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛[٢٩٨] لِيُقِيمَ العَـدلَ بـين الناس؛ فيكونوا سَواسِيةً أمام الحق؛ فإنَّ الشرَفَ والفضلَ بشرَفِ العلمِ والدين؛ فقـد قرر الإسلامُ مبدأ عدمِ التفاضُلِ بين الناسِ إلا بالتقوى. وأما شَرَفُ النَّسَبِ فلا يُنـافي العدالة، وقد ربطَ النبيُّ ﷺ بين هلاكَ الأُمَمِ وانحطاطها السياسي وانحدارها الحضـاري وبين تفشِّي الظُّلمِ وفسادِ المعاييرِ القانونية والقِيَمِ الاجتماعية، فقالﷺ: (إنمـا أهلـك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سَرق فيهم الشريفُ تركُوه، وإذا سرقَ فـيهم الضـعيفُ

---

٢٩٧ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣٧٤/١.

٢٩٨ الأنبياء: ١٠٧.

أقامُوا عليه الحد)؛ فرتَّبَ ﷺ هلاكَ الأمة الظالمة واندثارَها على فسادِ المعاييرِ التي تحكم المجتمع من تفشي الظُّلمِ وتركِ الشريفِ ومعاقبةِ الضعيف. فقد روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها (أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت! فقالوا ومَن يُكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حدٍّ من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).[299] وفي رواية (فكلَّمَه أسامةُ بن زيد فقال: إنَّ بني إسرائيل كان إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركُوه، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ قَطعُوه! لو كانت فاطمةُ لَقطَعْتُ يدَها!).[300]

فالتفرقة الاجتِماعية عريقةٌ، والتمييز العنصري داءٌ جاهلِيٌّ قديمٌ، وقد كان هذا مُواجَهةً عَقَدِيةً واجتِماعيةً لقريشٍ وقيَمِها الجاهليةِ؛ فالإسلامُ لا يُفرِّقُ بين الناسِ على الأساسِ العِرْقي والمركزِ الاجتماعي والمستوى المادي: من حيث الغِنَى والفقر، والنفوذ السياسي والمكانة الاجتماعية، بل الشريف والضعيف سواءٌ في الحقوق والواجباتِ. وعن عروة بن الزبير أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومُها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه! قال عُروة: فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ فقال أتكلمني في حد من حدود الله قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله فلما كان العَشِيُّ قام رسول الله خطيبا فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإن ما

---

٢٩٩ صحيح البخاري ١٢٨٢/٣. حديث ٣٢٨٨. كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم.

٣٠٠ صحيح البخاري ١٣٦٦/٣. حديث ٣٥٢٦. كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أسامة بن زيد. وصحيح البخاري ٢٤٩١/٦. حديث ٦٤٠٥. كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع. وصحيح مسلم ١٣١٥/٣. حديث ١٦٨٨. كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة.

أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركـوه، وإذا سـرق فـيهم الضعيف أقاموا عليه الحد! والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمـد سـرقت لقطعت يدها! ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة؛ فقطعت يدها؛ فحسنت توبتها بعـد ذلـك وتزوجـت قالت عائشـة: فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ).[301]

وفي روايةٍ أنها عاذت بأُمِّ سَلَمة رضي الله عنها؛ فلم تعتبر شـفاعتها ولا شـفاعة أسامة؛ لأن في ذلك نقضاً لعدالةِ الإسلام وانحرافا عن واجب المساواة بين الناس. فقد روى جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي بها النبي ﷺ فعاذت بـأم سلمة زوج النبي ﷺفقال النبي ﷺ والله لو كانت فاطمة لقطعت يدها؛ فقطعـت).[302] فالمرأة المخزومية شريفة، ولكنَّ الإسلامَ ليس نظاماً إقطاعيـا أو حُكْمـاً اسـتقراطياً؛ يستعبد الناسَ للطبقية والتفرقة الاجتماعية. ومن حكمةِ النبيِّ ﷺ البالغـة أنـه مثَّـلَ بفاطمة رضي الله عنها ومَنْ مثلُها في شَرَفِها وقرابتِها ومحبةِ النبي ﷺ لهـا؟! فكأنـه ﷺ يقول: يا معشر القرشيِّين، يا من تريدون أن تؤسِّسُوا للظلم في مجتمع المسلمين تفريقـا في المحاسبة بين الشريف والوضيعِ! فهذا لا مكان له في مـوازين الإسـلام وعدالـة الإسلام! فلو أن فاطمة ابنتي وهي بضعةٌ مني وأحبُّ الناسِ إلَيَّ وهي في ذروة الشرف من قريشٍ سرقت؛ لحاسَبْتُها وعاقَبْتُها! وحاشا فاطمة أن تفعل ذلك! ولكنـه تأكيـدٌ للعدالةِ التامة، وضَرْبٌ لِلمَثَلِ بالقريب، وتطييبٌ لِخاطِرِ أهلِ المرأة المخزومية أن يقبلوا حكمَ الله ورسولِه ﷺ.

---

٣٠١ صحيح البخاري ١٥٦٦/٤. حديث ٤٠٥٣. كتاب المغازي، باب من شهد الفتح.

٣٠٢ صحيح مسلم ١٣١٦/٣. حديث ١٦٨٩. كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عـن الشفاعة..

وهذا يُذَكِّرُنا كذلك بِمَوقفِ النبيِّ ﷺ مع فاطمة رضي الله عنها حين احتاجت وهي ابنة رسول الله ﷺ سيِّد المسلمين وحاكمهم إلى خادم تعينها فقال لها ﷺ: ألا أدلك على أحسن من خادم.. تسبحين الله ثلاثا وثلاثين، وتحمدينه ثلاثا وثلاثين، وتُكَبِّرينه ثلاثا وثلاثين، فهذا خير لك من خادم! ولم يأمرْ ﷺ لابنتِه فاطمة رضي الله عنها بخادمٍ مع حاجتِها؛ حتى لا يميزها عن غيرها! كما ترجَمَ البخاري في كِتاب (فَرْضِ الْخُمُسِ) بَاب (الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخُمُسَ لِنَوَائِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمَسَاكِينِ وَإِيثَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ الصُّفَّةِ وَالْأَرَامِلَ حِينَ سَأَلَتْهُ فَاطِمَةُ وَشَكَتْ إِلَيْهِ الطَّحْنَ وَالرَّحَى أَنْ يُخْدِمَهَا مِنْ السَّبْيِ؛ فَوَكَلَهَا إِلَى اللَّهِ).[303] وروى عن عَلِي أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ فَقَالَ عَلَى مَكَانِكُمَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ).[304]

وتأمَّلْ مَوقِفَ النبيِّ ﷺ مع صِدِّيقِ الأُمة السابقِ للإسلامِ ومُحَرِّر العبيدِ والصاحِبِ في الغارِ والمرافِقِ في الهجرة كيف عاتبَه ﷺ حين أغضب ضعفاء الصحابة، فقال له: يا أبا بكر لئن أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك! ولم يتعارضْ ذلك مع إنزالِ الصِّدِّيقِ منزلَتَه؛ فالنبيُّ ﷺ أوفى الأوفياء فلا يُضيِّعُ حقوقَ أنصارَ الدعوة التي قامت واستوت على سُوقِها بصبرِهم واستجابةِ الضعفاء أتباع الأنبياء عليهم السلام؛ ولهذا ردَّ ﷺ على سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه مع أنه كان ثالثَ ثلاثةٍ في الإسلام حين فَهِمَ منه تفضيلَ نفسِه على غيرِه من الضعفاء، فقد روى البخاري عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْد قَالَ: (رَأَى سَعْدٌ

---

٣٠٣ صحيح البخاري ٣٥٣/١٠.

٣٠٤ صحيح البخاري ٣٥٤/١٠، حديث ٢٨٨١.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلا عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ).[٣٠٥] قال ابنُ حَجَر: "قَوْله: (رَأَى) أَيْ ظَنَّ وَهِيَ رِوَايَةُ النَّسَائِيّ. (عَلَى مَنْ دُونَهُ) زَاد النَّسَائِيّ (مِنْ أَصْحَاب رَسُول اللَّهِﷺ) أَيْ بِسَبَبِ شَجَاعَتِهِ وَنَحْو ذَلِكَ. قَوْله: (هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ) فِي رِوَايَة النَّسَائِيّ (إِنَّمَا نَصَرَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعَفَتِهِمْ بِدَعَوَاتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ) وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاء عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيّ بِلَفْظِ (إِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ) قَالَ اِبْن بَطَّال: تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ أَنَّ الضُّعَفَاءَ أَشَدُّ إِخْلاصًا فِي الدُّعَاءِ وَأَكْثَرُ خُشُوعًا فِي الْعِبَادَةِ لِخَلَاء قُلُوبهمْ عَنْ التَّعَلُّقِ بِزُخْرُفِ الدُّنْيَا وَقَالَ الْمُهَلَّب: أَرَادَ ﷺ بِذَلِكَ حَضَّ سَعْدٍ عَلَى التَّوَاضُعِ وَنَفْي الزَّهْوِ عَلَى غَيْرِهِ وَتَرْكِ اِحْتِقَارِ الْمُسْلِمِ فِي كُلِّ حَالَةٍ".[٣٠٦]

وهذا من منهج الإصلاح النبوي للمجتمع: فإنه ﷺ يبدأ بأهلِه؛ ليكون أهلُه قدوةً في إحقاقِ الحقِّ؛ فقد أبطل الربا وبدأ بربا عمِّه العباس، ووضعَ دماء الجاهلية، وأول دمٍ وضعَه دم رجلٍ من بني عبد المطلب، وحينما بيَّنَ مبدأ العدالة والمساواة في الثواب والعقاب، ذكر ابنتَه وأنه لا يحابي أحداً لِقرابتِه وشَرَفِه ومَكانَتِه الاجتماعية. فهذا هو الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ وطَبَّقَه على من يليه، وليس كمن يجعل لنفسه ومن يَليه ويُوالِيه الغُنْم، ولِغَيرِهم من الناسِ الغُرْم! إنها عدالةُ الإسلام، وموازين الحق.

---

٣٠٥ صحيح البخاري حديث ٢٦٨١.

٣٠٦ فتح الباري لابن حجر ٤٦/٩.

الفصل الخامس:

مَعالِم في فقه الوِحْدة والائتلاف:

المبحث الأول: ليس الاختلاف في الفروع الفقهية من التفرق المذموم:

المبحث الثاني: فضل الخروج من الخلاف ومراعاة الاتفاق:

المبحث الثالث: الفتوى الجماعية وأثرها في توحيد الأمة:

المبحث الرابع: لا تعارض بين الوِحْدة الوطنية ووِحْدة الأُمّة:

المبحث الخامس: التأسِّي الصحابة في الحرصِ على الائتلاف ونبذ الخلاف:

الفصل الخامس: مَعالِم في فقهِ الوِحدة والائتلاف:

المبحث الأول: ليس الاختلاف في الفروع الفقهية من التفرق المذموم:

لا يخفى أن النهي عن الاختلاف لا يشمل اجتهاد الفقهاء في الفروع الفقهية؛ بحيث يختار كل مجتهدٍ ما يراه صوابا، قال أبو حيان رحمه الله: "التفرُّقُ المنهي عنه هو في أُصُولِ الدِّين والإسلام".[307] وقال القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[308] يعني في دينكم كما افترَقَتْ اليهودُ والنصارى في أديانهم... ويجوز أن يكون معناه ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ مُتابِعِين للهوى والأغراضِ المختلِفة، (وكونوا في دين الله إخوانا)؛ فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطُعِ والتدابُرِ... وليس فيه دليلٌ على تحريمِ الاختِلافِ في الفروع؛ فإن ذلك ليس اختلافاً؛ إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون... وإنما منع الله اختلافا هو سبب الفساد".[309]

وفي هذا المعنى يقول د. عبد الله الفقيه: "لا داعي للقلق والانزعاج من اختلافِ العلماءِ في المسائل الفرعية؛ فهذا الخلافُ ليس خِلافَ تضاد ولا تصادم... وإنما هو اختِلافُ تنوُّعٍ وتوسِعة، وهو دليلٌ على سَعَةِ الدِّينِ وشُمُولِه وصلاحِه للزمان والمكان ومُلاءَمَتِه لكلِّ بيئةٍ وعَصْرٍ... وقديما قال العلماء :اختلافُ الأئمة رحمةٌ واسِعةٌ، واتفاقُهم حُجّةٌ قاطِعة. وتبقى بعد ذلك الأصُولُ والثوابِتُ هي التي تكون عاملَ الإجماعِ

---

٣٠٧ البحر المحيط ٣/٢٨٦.

٣٠٨ آل عمران: ١٠.

٣٠٩ تفسير القرطبي ٤/١٥٩.

ووِحْدة الأمة، ولا يَضُرُّ بعد ذلك الاختِلافُ في الجزئيات؛ فهذه فيها نوعٌ من التوسعة وحُرّية الرأيِ والاجتهاد، والعلماء مُتفِقُون على هذا، ويَدْعُون الناسَ لِفَهْمِه".[٣١٠]

إنَّ "رسالةَ الإسلامِ ـــ مع دعوتِها للاتفاق ـــ رسالةٌ واقعيةٌ تتعاملُ مع الإنسانِ على ما هو عليه، وخالقُ الإنسانِ تبارك وتعالى يعلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾؛[٣١١] فقد وَهَبَ لِعِبادِه عقولاً ومُقدَّراتٍ مُتباينةً؛ مِنْ شأنِها أنْ تؤدِّيَ إلى اختِلافٍ في نظرتِهم وأفكارِهم ومَواقِفِهم مِن كثيرٍ مِن الأشياء؛ ولذلك فإنَّ الإسلامَ يتسعُ إلى تلك الاختلافات كلها التي لا تُهَدِّدُ وِحْدةَ الأمة؛ فيكفي أنْ تتفِقَ الآراءُ، وتلتقي التصورات، وتتوحد المواقِفُ إزاءَ القضايا الكبرى والقواعِدِ الأساسية، أمّا ما عَداها مِن أُمورٍ فَرْعِيةٍ، وقضايا ثانويةٍ مما يُساعِدُ اختِلافُ الرأيِ فيها على الجنوح نحو الأفضَلِ والأمثلِ؛ فلا ضَيْرَ فيه؛ على أنْ يكونَ لهذا الاختِلافِ ضَوابطُه وحُدُودُه، وقَواعِدُه وآدابُه، وألا يُؤَثِّرَ على وِحْدَةِ فِكْرِ الأُمّة ومَواقِفِها مِن القضايا الكبرى".[٣١٢]

المبحث الثاني: فضل الخروج من الخلاف ومراعاة الاتفاق:

ومع أننا قدَّمْنا جوازَ الاختلافِ الفقهي وذَكَرْنا أنه غيرُ مذمُومٍ؛ فإنَّ مصلحةَ الدعوةِ تقتضي مُراعاةَ مواطِنِ الاتفاق؛ فهذا من شأنه أن يجمعَ الأمّةَ ويُوحِّدَ الكلمة: "فإذا كانت الأُمّة في وَضْعٍ تتعرّضُ فيه لِفِتنةٍ توشِك أنْ تُمَزِّقَها أشْتاتا؛ فإنَّ الاجتِهادَ الفِقهي مِن أجلِ مُعالجَة أوضاعِها، ينبغي أنْ يُقَدَّمَ فيه الاهتِمامُ بمَقْصَدِ وِحْدةِ الأُمّة مِن مقاصِدِ الشريعة".[٣١٣] وقد قال ابن تيمية رحمه الله: "وَلَوْ كَانَ الإِمَامُ يَرَى اسْتِحْبَابَ شَيْءٍ، وَالْمَأْمُومُونَ لا يَسْتَحِبُّونَهُ، فَتَرَكَهُ لأَجْلِ الاتِّفَاقِ وَالائْتِلافِ: كَانَ قَدْ أَحْسَنَ.

---

٣١٠ فتاوى الشبكة الإسلامية (مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه) ٤١٣٩/٨.

٣١١ قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ الملك: ١٤.

٣١٢ أدب الاختلاف في الاسلام للعلواني ٥/١.

٣١٣ فتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ٢/١.

مِثَالُ ذَلِكَ الْوِتْرُ: فَإِنَّ لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ ثَلاثَةَ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ لا يَكُونُ إلا بِثَلَاثٍ مُتَّصِلَةٍ كَالْمَغْرِبِ: كَقَوْلِ مَنْ قَالَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ لا يَكُونُ إلا رَكْعَةً مَفْصُولَةً عَمَّا قَبْلَهَا، كَقَوْلِ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ. وَالثَّالِثُ: أَنَّ الأَمْرَيْنِ جَائِزَانِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَإِنْ كَانَ هَؤُلاءِ يَخْتَارُونَ فَصْلَهُ عَمَّا قَبْلَهُ، فَلَوْ كَانَ الإِمَامُ يَرَى الْفَصْلَ، فَاخْتَارَ الْمَأْمُومُونَ أَنْ يُصَلِّيَ الْوِتْرَ كَالْمَغْرِبِ فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ: (لَوْلا أَنَّ قَوْمَك حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَنَقَضْت الْكَعْبَةَ، وَلأَلْصَقْتهَا بِالأَرْضِ؛ وَلَجَعَلْت لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ). فَتَرَكَ الأَفْضَلَ عِنْدَهُ؛ لِئَلا يَنْفِرَ النَّاسُ. وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ رَجُلٌ يَرَى الْجَهْرَ بِالْبَسْمَلَةِ فَأَمَّ بِقَوْمٍ لا يَسْتَحِبُّونَهُ أَوْ بِالْعَكْسِ وَوَافَقَهُمْ كَانَ قَدْ أَحْسَنَ، وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي الأَفْضَلِ، فَهُوَ بِحَسَبِ مَا اعْتَقَدُوهُ مِنْ السُّنَّةِ".[٣١٤]

ورَحِمَ الله ابن عثيمين؛ فقد اختار أن تُؤَدَّى صلاةُ التراويح مع الجماعة؛ فهذا أفضلُ من مفارقةِ الجماعة، فقال رحمه الله: "أما قولهم: السنة إحدى عشرة ركعة. فنقول: نعم، إذا صليت وحدك فالسنة أن لا تزيد على إحدى عشرة ركعة،[٣١٥] أو

٣١٤ الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٢/١١٧- ١١٨.

٣١٥ جاء في الفتوى ٧٩٧: (سئل فضيلة الشيخ: ما حكم صلاة التراويح؟ وكم عدد ركعاتها؟ فأجاب فضيلته بقوله: صلاة التراويح سنة لا ينبغي تركها ودليل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه، واللفظ لمسلم: "أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته أناس، ثم صلى في القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما اصبح قال: "قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم"، حيث علل النبي ﷺ تأخره عنها بخوف فرضيتها على هذه الأمة. أما عدد ركعاتها فأفضله ما كان النبي ﷺ يحافظ عليه، وهي إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة. وقد ثبت في صحيح البخاري أن عائشة رضي الله عنها سئلت كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ فقالت: "ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة". فهذا العدد هو أفضل ما تصلى به التراويح).

كنت إماماً فالسنة أن لا تزيد على إحدى عشرة ركعة، لكن إذا كنت مأموماً تابعاً لغيرك فصل كما يصلي هذا الإمام، ولو صلى ثلاثاً وعشرين، أو ثلاثاً وثلاثين، أو تسعاً وثلاثين هذا هو الأفضل وهو الموافق للشرع؛ لأن الشرع يحث على وحدة الأمة الإسلامية واتفاقها، وعدم تنافرها واختلافها، وعموم قوله ﷺ: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) يشمل هذا. ولقد تابع الصحابة رضي الله عنهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في إتمام الصلاة في منى مع إنكارهم ذلك، كل هذا من أجل ائتلاف الكلمة وعدم التفرق".[٣١٦]

المبحث الثالث: الفتوى الجماعية وأثرها في توحيد الأمة:

فقد جاء في (مجلة مجمع الفقه الإسلامي) "كما أن الفتوى الجماعية أكثر قبولاً عند عامة الناس، إذ يمنح ذلك نوعاً من الثقة والطمأنينة، وقد يكون ذلك من أسباب تقارب الآراء عند أهل العلم، ومفتاحاً لتوحيد التشريعات في الأمة الإسلامية... وبالتالي تكون سبيلاً إلى وحدة الأمة؛ إذ وحدة الفكرِ مِن أهَمِّ أسبابِ وِحْدةِ الأمّة، والمرء يُدْرك ما الذي حصَلَ عند أتْباعِ المذاهِبِ من القطيعةِ والعصَبيّة المقيتة التي ما تزال آثارُها ملمُوسةً إلى اليوم، والتي كانت مِن عوامِلِ تمزيقِ الأمة، وغلبةِ الأهواء عند العامة".[٣١٧]

فلا بد من السعي الحثيث إلى "تحقيق التقارب الإسلامي وتجديد بناء وحدة الأمة؛ فإنَّ القيام بهذه الرسالة فريضةٌ على المسلمين، وخاصة في هذه الظروف الصعبة الحالكة التي تمر بها المجتمعات الإسلامية؛ فإنه لا يدرأ عنها الأخطار وشرور الفتنة، ولا يقيها أسباب التصدع وعوامل الفناء والانقراض إلا رجوعها إلى دينها وتمسكها بشريعتها،

٣١٦ مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٤/١١٧-١١٨.

٣١٧ مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة ١١/٤٦٦.

وعملها الجاد في إنقاذ وحدها وإعلاء كلمتها، وإيجاد الحلول الشرعية البينة لما يَجدُّ أو يُسْتَشْكَل من قضايا العصر في كل المجالات".[٣١٨]

المبحث الرابع: لا تعارض بين الوِحْدة الوطنية ووِحْدة الأُمّة:

ليس في إرْثِ السياسةِ الشَّرعِيّة لِدولةِ المدينةِ النبويّة ولا في الفقهِ السِّياسي الإسلامي على تعاقُبِ العُصُورِ تعارُضٌ أو تضارُبٌ بين وُجوبِ الالتزامِ بالشريعة الإسلامية، وبين وُجوبِ الحفاظِ على مَصالحِ الوطنِ واستِقْرارِه وتَنْمِيَتِه والارتقاءِ به، ورِعايةِ حُقوقِ الأقلِّيّاتِ غيرِ المسلِمة في المجتمَعِ الإسلامي. وكلما التَزَمْنا بأحكامِ شريعتِنا الإسلامية ورُوحِ مَقاصِدِ دِيننا الحنيفِ؛ ازْدَدْنا حِرْصاً على وِحْدَتِنا الوطنيةِ، بما يعنيه مصطلح (الوِحْدة الوطنية): مِن حِفظِ الحقوقِ، والقيامِ بالواجِبات، وعدمِ التعدِّي والتظالم؛ وتحقيقِ السلامةِ والأمانِ للمسلمين وغيرِ المسلِمين.

وإنَّ تحقيقَ الوِحْدة الوطنيّة بابٌ عظيمٌ مِن أبوابِ الدعوةِ الإسلامية، وخيرُ سبيلٍ لِدُخُولِ الناسِ في دينِ الله أفواجا؛ وهو ما نعيشُه ــ بحمدِ الله ــ منذ سنواتٍ في هذا البلدِ الطيِّب؛ فلا يكاد يَمُرُّ يومٌ أو أيامٌ إلا ويُعْلِنُ أحدُ الجنوبيِّين إسلامَه في جميعِ ولاياتِ السودان؛ لِما يراه مِن حُسْنِ مُعامَلةِ المسلِمين له وعَدَمِ تعدِّيهم على حقوقِه. ونحمَدُ الله عزَّ وجلَّ على أنَّ لأمّتِنا تاريخاً مَجيداً في حُسْنِ مُعامَلةِ غيرِ المسلمين ورعايةِ العُهُودِ معهم؛ ولذلك كان كثيرٌ منهم يَعْتَنِقُون هذا الدِّينَ مُقْتَنِعِين بأنه رحمةٌ للعالَمِين. وقد علَّمَنا القرآن أنْ نُفرِّقَ بين مُعامَلةِ المحاربين المعتَدين وبين مُعامَلة المسالِمين: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ

٣١٨ مجلة مجمع الفقه الإسلامي ٧٢٣/١١.

وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾.[٣١٩]

وقد كان في المجتمَع الإسلامِي الأوّلِ يهودٌ لهم حقوقٌ محفوظةٌ في دولةِ المدينة، ومُنافِقُون: من أمثالِ عبدِ الله بن أُبَيٍّ بن سَلُول، ربما تلفَّظَ بعضُهم بكلماتٍ مِن أحقادِه وسخيمةِ نفسه؛ فلا يُعامِلُه النبيُّ ﷺ بالقتلِ، بل يَصْبِرُ ويَعْفُو، ويُعلِّمُ الصحابةَ دُرُوساً في التحمُّلِ والتحَلِّي بالحكمةِ وتَوْحِيدِ الجبهة الداخلية، قائلا: (لا يتحدث الناسُ أنَّ محمداً يقتل أصحابَه).[٣٢٠] فكان ﷺ حريصاً على وِحْدَةِ الأمةِ واستِقْرارِ الدولةِ بجميعِ أهلِها في اجتِماعِهِم واقتِصادِهم وسِياسَتِهم.

والخلاصة: أنه لا تعارُضَ بين الوِحْدةِ الوَطَنيّةِ ووِحْدةِ الأمّـــة إذا حافَظْنـــا علـــى شريعتِنا الإسلامية. بل الواجب الحرص على سلامةِ المجتمع من التفكك الداخلي دون تفريطٍ في الثوابت الشرعية. وقد روى البخاري رحمه الله في مطلع كتاب الخصـــومات باب (مَا يُذْكَرُ فِي الإِشْخَاصِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ) ما يدل على النهي عن

٣١٩ الممتحنة: ٧ – ٩.

٣٢٠ رواه البخاري رحمه الله في كتاب (المناقب) باب (مَا يُنْهَى مِنْ دَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ) عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِن الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا ، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِين رَجُلٌ لَعَّـــابٌ فَكَسَـــعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ يَا لَلْمُهَـــاجِرِينَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ قَالَ مَا شَأْنُهُمْ فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَـــةِ لَيُخْـــرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ فَقَالَ عُمَرُ أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الْخَبِيثَ لِعَبْدِ اللهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَه). صحيح البخاري ٤/٢٢٣، حديث ٣٥١٨. ورواه في باب (قَوْلِهِ {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}). صحيح البخاري ٦/١٩١، حديث ٤٩٠٥. وفي باب (قَوْلِهِ {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِـــنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}). صحيح البخاري ٦/١٩٢، حديث ٤٩٠٧. ورواه مسلم رحمه الله في كتاب (البرِّ والصِّلَة) باب (نصر الأخ ظالما أو مظلوما). صحيح مسلم ٨/١٩، حديث ٦٧٤٨.

التفريق بين الأنبياء وتمزيق الوحدة الوطنية، فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (اسْتَبَّ رَجُلاَنِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ؛ فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ ـــ وفي روايةٍ: (بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ) ـــ [٣٢١] فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّه).[٣٢٢]

وللتفصيل لا بد من تقرير "أنَّ الانتماء للوطن بمجرده لا محذورَ فيه، كما لا محذورَ في مجرَّد الانتساب للقبيلة، فقد كان صحابة رسولِ الله ﷺ ينتمون إلى قبائلهم ويُنسَبُون إلى أوطانهم، فهذا أوْسيٌّ، وذاك خَزْرَجي، وهذا أنصاري، وذاك مهاجري، وكان النبيُّ ﷺ يسمعها منهم فلا يُنْكِرُها عليهم. فمُجَرَّدُ الانتماءِ للتعريفِ وإثباتِ النَّسَبِ ونحو ذلك ليس فيه مَعرَّةٌ ولا مَضرّةٌ، حتى إذا جاوَزَتْ ذلك واستحالَتْ عَصَبيّةً ورابطةً يُنْتَصَرُ لها دُون عَصَبيَّةِ الإسلام ورابطَتِه كَبَحَها ﷺ ونَهاهم عنها، وقال: (ما بالُ دَعْوَى الجاهلية؟ دَعُوها؛ فإنها مُنْتِنةٌ). فمن المرفوض قطعاً ما يدعُو إليه غُلاة الوطنية من أن يكونَ عطاءُ المواطِن واهتمامه قاصراً على وطنه، وولاؤه محدوداً بحدوده، وأن يَجعل له من قضايا وطنه شُغلاً عن كل شغل، فلا يعنيه شيء خارج حدود بلده. لا بأس أن تكون اهتماماتُنا بقضايا وطنِنا أكثر، فالأقرب أولى من الأبعد،

٣٢١ صحيح البخاري ١٥٨/٣، حديث٢٤١٢.

٣٢٢ صحيح البخاري ١٥٨/٣، حديث ٢٤١١.

والأقربون أولى بالمعروف، ولكن لا يجوز أن تكون اهتماماتُنا محصورةً فيه فلا تُجاوِزُه قِيد أُنْمُلة. فأين هي إذنْ وَشِيجةُ الدِّين، وأين هي حقوق المسلمين؟ إنَّ بعض مقتضيات الوحدة الوطنية لهو مما يقصده الإسلام ويدعُو إليه؛ كالمحافظة على أمْنِ البلادِ وأرواحِ الناسِ وأموالِهم وأعْراضِهم، وحمايةِ ثرَواتِ الوَطَنِ ومُقدَّراتِه، وكالدعوةِ إلى المساواةِ والعَدلِ، ومُدافَعةِ الظُّلْم ومُعاقَبةِ الظَّلَمَة، وهذا كلُّه يدخُلُ في بابِ التعاوُنِ على البِرِّ والتقوى.[٣٢٣]

"والوِحْدةُ الوطنيّة تفرض فيما تفرضه حِمايةَ حُقُوقِ الأقلّيّاتِ والتعايُشَ معهم، وهذا حقٌّ سبَقَ أنْ دعا إليه الإسلامُ قبل أن يَعرفَ الناس مفهومَ الوطنيّة والمواطَنة، ولكنَّ حِمايتَه لِحُقُوقِ الأقلِّيّات لم تكُنْ تعني إقرارَهم على السُّخْرية بشعائر الإسلام، أو سبِّ الله ورسوله ﷺ، أو المجاهَرَة بما يمنع الإسلام أنْ يُجاهَرَ به بين المسلمين. والوِحْدة الوطنية تصبح واجباً لا مناص منه حينما يتهدد البلد خطرٌ خارجيٌّ يريد أن يهيمن عليه ليسلب ثرواته وخيراته، ولِيُجْهِزَ على ما تبقَّى فيه مِن قِيَمِ الإسلامِ وشَعائره. وإنما كانت حِمايته لِحُقُوقِهم تعني عِصْمَةَ أنفُسِهم وأموالِهم، وتحريمَ الاعتِداءِ عليهم واضطِهادِهم وإيذائهم، وهو يَمْنَحُهم حقَّ مُمارَسةِ شعائرِ دينهم في بيوتِهم وأحيائهم بشرطِ ألا يُؤْذُوا مَشاعِرَ المسلمين، أو ينالُوا الإسلامَ بسوء؛ فليس لأحدٍ حقٌّ أنْ يَسْخَرَ بشعيرةٍ مِن شعائرِ الإسلام، أو يسعى لِنَشْرِ الكُفرِ بين المسلمين".[٣٢٤] "لقد عاش أهلُ الذِّمّة في بلادِ المسلِمِين قُروناً طويلةً يمارِسُون شعائرَ دينهم في بيوتِهم وأحيائهم، فيشربون الخمر ويأكلون لحم الخنزير، ويفعلون غير ذلك مما يستَحِلُّونه في دينِهم. ولكنهم ظلوا ممنوعِين أنْ يُجاهِرُوا بذلك بين المسلمين، أو يَدْعُوا أحداً منهم

---

٣٢٣ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ١٨/٥. الوحدة الوطنية، المجيب سامي بن عبد العزيز الماجد: عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (بتصرف يسير).

٣٢٤ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ١٩/٥.

إليه. إنَّ الوِحْدةَ الوطنيّة لوطنٍ مِن أوطانِ المسلمين هو جزءٌ من وِحْدةِ الأمة، وما لا يدرك كله لا يترك جُلّه. فالسعي في وحدة الوطن على النحو الذي لا يُقوِّضُ الولاءَ والبَراءَ ولا يُحَجِّمه ليس سَعْياً في هَدْمِ وِحْدةِ الأمةِ ولا يُناقِضُها أو يُناهِضُها، بل هو سَعْيٌ في تحقيقِ جُزْءٍ مِن وِحْدةِ الأُمة، فهو مندُوبٌ إليه من هذا الوجه. والرابطةُ بين أهلِه وأفرادِ شَعْبه لا شك أنها رابطةٌ ممدوحةٌ إذا كانت مُنْضَوِيَةً تحت رابطةِ الدِّين، وكانت تعاوُناً على البرِّ والتقوى ونُصْرةً للحقِّ وأهلِه ومُناوأةً للباطِلِ وأهلِه". [٣٢٥]

ولا بد أن نُؤكِّدُ أنَّ مما يُعِينُنا على تحقيقِ وِحْدةِ الأمة: الالتِزامَ بالآدابِ الإسلاميّة السَّمْحة في حُسْنِ المعامَلة والدعوةِ بالتي هي أحسن، كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾. [٣٢٦] وقال جل جلاله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾. [٣٢٧] وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾. [٣٢٨] "وقد وُجِدَتْ عبر تاريخ الدول الإسلامية الطويل طوائف نصرانية ويهودية وبوذية، وقد كانت لهم من الدول الإسلامية الحماية التامة والرعاية الشاملة، ولم يُضارُّوا من أجلِ دينِهم في أيِّ أمرٍ مِن أمورِهم الخاصة بهم. وما هو مُباحٌ في دينِهم؛ فإنهم يُعامَلُون فيه بمقتضى أحكامِ دينِهم في بيئاتِهم الخاصة دُون أنْ يُخِلُّوا فيها بما يُفْضِي إلى إفسادِ أحوالِ المسلمين الذين هم

٣٢٥ فتاوى واستشارات الإسلام اليوم ٥/٢٠.

٣٢٦ فصلت: ٣٣ – ٣٥.

٣٢٧ العنكبوت: ٤٦.

٣٢٨ النحل: ١٢٥.

الكثرةُ الكاثِرة. أما النظامُ المشتَرَكُ العامُّ الذي تَحكُمُــه علاقـاتٌ مدنيّــةٌ وإداريّــةٌ واقتِصاديّةٌ وأمنيّةٌ فالجميعُ فيه سَواءٌ، وهذا أمرٌ تتفِقُ عليه نظريّاتُ الحقــوقِ الدوليّــة جميعها". [329]

وختاماً، علينا اتباعُ مبدأ ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، الذي أمَرَنا به القرآنُ في قولِــه تعــالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾. [330] وسَنَّه لنــا النبيُّ ﷺ في رسالتِه الجليلةِ إلى هرقل: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّــدٍ عَبْــدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ: أَسْلِمْ تَسْلَمْ؛ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَ ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾). [331]

---

٣٢٩ أجنحة المكر الثلاثة ٦٩٣/١.

٣٣٠ آل عمران: ٦٤.

٣٣١ حديث هرقل الذي رواه ابن عباس عن أبي سفيان (أن هرقل دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَــرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ). صحيح البخاري ٦/١-٧، حديث ٧.

المبحث الخامس: التأسِّي بالصحابة في الحرصِ على الائتلاف ونبذ الخلاف:

وأُذكِّر في خاتمة هذا الفصل بِحَزْمِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وحِفاظِه على وِحْدةِ الأُمّة مِن خَطَرِ المرتدين: وهو من أعظم القُدوات لنا، وما أحسَنَ ما جاء في موسوعة (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم): "لقد كان لحزم أبي بكر رضي اللّه عنه وصَلابَتِه في التّعامل مع هؤلاء المرتدّين أثَرُه الواضِحُ في استئصالِ شأْفةِ الرِّدّة من جميعِ أنحاءِ بلادِ العرب، وحَفِظَ بذلك وِحْدةَ الأمّة ووَقاها مِن الهلَكة، يقول ابن مسعود رضي اللّه عنه: (لقد قُمْنا بعد رسولِ اللّه ﷺ مقاما كِدْنا نهلك فيه لولا أنّ اللّه مَنَّ علينا بأبي بكر.. عَزَمَ اللّه له على قتالِ المرتدِّين، فواللّه ما رضي منهم إلا بالخطّة المجزية أو الحرب المجلية)، نعم لقد أخزى اللّه المرتدِّين على يديه ولم يَنْجُ منهم إلا مَنْ هَرَبَ هائماً على وجهِه خاسِراً الدّنيا والآخرة".[٣٣٢]

فهذا دَرْسٌ في الحفاظِ على وِحْدةِ الأُمّةِ واستِثْمارِها في نَشْرِ الدَّعوة: قال ابنُ كثير رحمه الله في تفسيرِ قولِ الله تعالى: "﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾:[٣٣٣] هذا وَعْدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعلُ أُمَّتَه خلفاءَ الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تصلح البلادُ وتخضعُ لهم العباد، ولَيُبَدَّلُنَّ بعد خوفِهم من الناسِ أمناً وحُكماً فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك وله الحمد والمنة؛ فإنه لم يمت رسول الله ﷺ حتى فتح الله

---

٣٣٢ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ١٠/٤٥٣٤: تأليف لجنة بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي. الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة. الطبعة: الرابعة.

٣٣٣ النور: ٥٥.

عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها. وأخذ الجزية من مَجُوس هَجَر ومن بعض أطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة، الذي تَملَّك بعد أصْحَمة رحمه الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فَلَمَّ شَعَثَ ما وَهَى عند موته عليه الصلاة والسلام وأطَّدَ جزيرةَ العربِ ومَهَّدَها وبعَثَ الجيوشَ الإسلامية إلى بلادِ فارس صحبة خالد بن الوليد رضي الله عنه، ففتحوا طَرَفاً منها، وقتلوا خَلْقاً من أهلِها وجيشاً آخرَ صُحبةَ أبي عُبَيدة رضي الله عنه ومن معه من الأمراء إلى أرض الشام، وثالثًا صُحبةَ عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد مصر؛ ففَتَحَ الله للجيش الشامي في أيامِه بُصرى ودمشق ومَخَاليفهما من بلاد حوران وما والاها، وتوفاه الله عز وجل. واختار له ما عنده من الكرامة. ومَنّ على الإسلام وأهله بأنْ ألْهَمَ الصِّدِّيقُ أن استَخلفَ عمرَ الفاروق؛ فقام في الأمرِ بعدَه قياماً تاما، لم يَدُر الفَلَكُ بعد الأنبياءِ عليهم السلام على مثلِه في قُوةِ سيرته وكمالِ عَدْلِه. وتَمَّ في أيامِه فتحُ البلادِ الشامية بكمالِها وديارِ مصرَ إلى آخرها، وأكثرَ إقليم فارس، وكَسَّر كسرى وأهانَه غايةَ الهوان، وتقَهْقَرَ إلى أقصى مملكتِه، وقَصَّرَ قيصَرَ، وانتزَعَ يدَه عن بلادِ الشام فانحاز إلى قسطنطينة، وأنفَقَ أموالَهما في سبيل الله، كما أخبر بذلك ووَعَدَ به رسولُ الله عليه مِن ربه أتَمُّ سلامٍ وأزكى صلاة. ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت المماليك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففُتِحَت بلادُ المغرب إلى أقصى ما هنالك: الأندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سَبْتَةَ مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقُتِلَ كسرى وباد مُلْكُه بالكُلِّية. وفُتِحَت مدائنُ العراق وخراسان والأهواز، وقَتَلَ المسلمون من الترك مقتلةً عظيمةً جدا، وخذل الله مَلِكَهم الأعظم خاقان، وجُبِيَ الخراجُ من المشارق والمغارب إلى حضرة أميرِ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛

وذلك ببركةِ تلاوتِه ودراستِه[٣٣٤] وجَمْعِهِ الأمةَ على حفظِ القرآن؛[٣٣٥] ولهذا ثَبَتَ في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إنَّ الله زَوَى لي الأرض، فرأيتُ مشارقَها ومغارِبَها، وسيبلغُ مُلكُ أمتِي ما زُوِيَ لي منها) فها نحن نتقلَّبُ فيما وعَدَنا الله ورسولُه، وصَدَقَ الله ورسولُه ﷺ، فنسأل الله الإيمانَ به وبرسولِه والقيامِ بِشُكْرِهِ على الوجهِ الذي يُرْضِيهِ عنا".[٣٣٦]

---

٣٣٤ وقد روى مسلم عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ ابْنَ أَبْزَى قَالَ وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا قَالَ فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى قَالَ إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ). صحيح مسلم ٢٥٢/٤. حديث ١٣٥٣.

٣٣٥ تأمَّلْ حسنَ تعبيرِ ابن كثير ــ وهو مؤرخ الإسلام العارف بأسباب قيام الدول وسقوطها ــ عن تمكين الدين ووراثة الأرض بتحكيمِ الشرعِ وإقامة الحق والدِّين بين العباد: فقد قال رحمه الله: "وجُبِيَ الخراجُ من المشارق والمغارب إلى حضرة أميرِ المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ وذلك ببركةِ تلاوتِه ودراستِه وجَمْعِهِ الأمةَ على حفظِ القرآن"! فلا تنميةَ إسلاميةَ ولا قوةَ عسكرية إلا بعد إحياءِ وظيفة العلم والتربية والتزكية الإسلامية! وهذه الآية من أحسنِ الأدلة على أن التمكين السياسي لا يتحقق إلا بالإحسان في الإيمان والعلم. وراجع بالتفصيل كتاب (التوازن والإحسان في منهج نبي الإسلام) و(أسباب نهضة المسلمين من خلال سيرة الخليفتين الراشدين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما). محمد عمر دولة.

٣٣٦ تفسير ابن كثير ٧٧/٦-٧٨.

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
وبعد، فهذا بحمد الله كتاب: (الأُمّة بين عَوامِلِ الوِحْدة ومَعاوِل التفتيت) يَسَّرَ الله بِفَضْلِه وإحْسانه إتْمامَه، أسأل الله أن أن يتقبله قبولا حسنا، وأن ينفعَ به.

وقد اشتمل هذا الكتاب على خمسة فصول:

الفصل الأول: مَعاوِلُ تفتيتِ الوِحْدة:

الفصل الثاني: أثر العقيدة والعبادة في توحيد الأمة:

الفصل الثالث: الوِحْدة في القرآن الكريم:

الفصل الرابع: الوِحْدة في السُّنّة ودور المؤاخاة ونبذ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة:

الفصل الخامس: مَعالِم في فقهِ الوِحْدة والائتلاف:

وإني أوصي في خاتمة هذا الكتاب بتنميةِ فقهِنا الاجتماعي الذي يرتقي بِتَرْبِيَتِنا السلوكيةِ والسياسية، ويحقق الوحدة؛ فالأخلاقُ الاجتِماعية تُكتَسَبُ وتُنَمَّى وتحفظ السلام الاجتماعي بين الناس. وقد ذكَرَ البيهقي رحمه الله في (شُعَبِ الإيمان) عن الأحنف بن قيس قال: (تعلَّمُوا الْحِلْمَ تعلُّماً، ولقد تعلَّمْتُه من قيس بن عاصم... أُتِيَ قيسُ بنُ عاصم بابنه قتيلا، فجاءوا بقاتلِه وهو أحدُ بني عمِّه، فقال له: نقَصْتَ عَدَدَك، وأوْهَنْتَ عِزَّك، وقتَلْتَ ابنَ عمِّك، وقد عَفَوْتُ عنك، وإنَّ أمَّه لَثَكْلَى، وقد حَمَلْتُ لها مائةً من الإبلِ من مالي". [٣٣٧]

وما أحوجَ أمتَنا إلى تنميةِ رُوحِ الوِحدة وسَعةِ الصدور كما قالَ المُقَنَّع محمد بن عُمَيْر الكِنْدِي في قصيدتِه الداليّةِ الرائعة:

وإنَّ الذي بَيْنِي وبَيْنَ بَنِي أَبِي   وبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا!

---

٣٣٧ شعب الإيمان للبيهقي ١٨/٣٨، حديث ٨٢٧٣.

فإنْ أكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ   وإنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْداً!
وإنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ   وإنْ هُمْ هَوَوْا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْداً
وإنْ زَجَرُوا طَيْراً بنَحْسٍ تَمُــرُّ بِي   زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْراً تَمُرُّ بِهِمْ سُـعْـدا
ولا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَــديمَ علــيهمُ   ولَيْس رَئيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدا".[٣٣٨]

فالوِحْدةُ مَطلَبٌ عزيزٌ، والتفرُّقُ داءٌ عُضالٌ وفَشَلٌ ذريعٌ؛ ويكفي في ذمِّ التفرُّق أنَّ الله عزَّ وجل جعَلَه مِنْ أنواعِ العذابِ وعلاماتِ السخطِ: فقال جل جلالــه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.[٣٣٩]

وإنما تتحقق الوحدة والائتلافُ "بالتأدب بالآداب الشرعية من إخلاص النيـــة لله تعالي، واستحضار عظمته سبحانه، وحسن الظن بالآخرين، وإنصافهم وسلامة الصدر تجاههم، وإيجاد المخارج لكلامهم وحمله على أحسن المحامل، والتماس العذر لهم، وسعة الصدر معهم، وقبول نقدهم ونصحهم، مع بذل النصح الصادق لهم في غير تشهير ولا مبالغة. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: يعجبني ما وقع لبعض أهل العلـــم، وهو أنه كتب له إنسان من أهل العلم والدين ينتقده انتقاداً حاراً في بعــض المســائل ويزعم أنه مخطئ فيها؛ حتى إنَّه قدَحَ في قصدِه ونيتِه، وادَّعى أنَّه يَدِينُ الله ببغضِه؛ بِنــاءً على توهُّمٍ من خطئه. فأجاب المكتوب له: يا أخي، إنَّك إذا تركتَ ما يجب عليك من المودة الدينية وسلكتَ ما يحرم عليك من اتهام أخيك بالقصدِ السيِّئ ــ على فرضِ أنه أخطأ ــ وتجنبتَ دعوةً إلى الله بالحكمة في مثل هذه الأمور، فإني أخبرك قبل الشــروع في جوابي لك عما انتقدتَني عليه بأني لا أترك ما يجب عليَّ من الإقامةِ علــى مودتِــك

---

٣٣٨ الحماسة البصرية ١٢٥/١.

٣٣٩ الأنعام: ٦٥.

والاستمرارِ على محبتِك المبنيةِ على ما أعرفه من دينك، انتصاراً لنفسي، بل أزيد على ذلك بإقامة العذر لك في قدحك في أخيك، بأن الدافع لك على ذلك قصدٌ حسنٌ؛ لكنْ لم يصحَبْه عِلْمٌ يُصحِّحُه، ولا معرفةٌ تُبيِّنُ مَرْتَبَتَه، ولا وَرَعٌ صحيحٌ يُوقِفُ العبدَ عند حدِّه الذي أوجبه الشارع عليه؛ فلحسنِ قصدِك عفَوتُ لك عمَّا كان منك لي من الاتهام بالقصدِ السَّيئ، فَهَبْ أنَّ الصوابَ معك يقيناً، فهل خطأ الإنسان عنوانٌ على سوءِ قصدِه؟ فلو كان الأمر كذلك لوجب رمي جميع علماء الأمة بالقصود السيئة فهل سلم أحد من الخطأ؟! وهل هذا الذي تجرَّأتَ عليه إلا مخالف لما أجمع عليه المسلمون من أنه لا يحل رميُ المسلم بالقصد السيئ إذا أخطأ؟ والله تعالى قد عفا عن خطأ المؤمنين في الأقوال والأفعال وجميع الأحوال. ثم نقول: هَبْ أنه جاز للإنسانِ القَدْحُ في إرادةِ مَنْ دلَّت القرائنُ والعلاماتُ على قصدِه السَّيئ؛ أفيحل القدح فيمن عندك من الأدلة الكثيرة على حسن قصده، وبُعْدِه عن إرادة السُّوء، ما لا يسوغ لك أن تتوهم فيه شيئاً مما رميته به، وإن الله أمر المؤمنين أن يظنوا بإخوانهم خيراً إذا قيل فيهم خلاف ما يقتضيه الإيمان، فقال تعالى﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾.[٣٤٠] واعلم أن هذه المقدمة ليس الغرضُ منها مقابلتَك بما قلتَ، فإني كما أشرت لك: قد عفوتُ عن حقي إنْ كان لي حقٌّ، ولكن الغرض النصيحة، وبيان موقع الاتهام من العقل والدِّين والمروءة والإنسانية". فلا بد من العمل على تضييقِ فجوةِ الخلافِ والسعي نحو أسباب الاتفاق. ولا يكون ذلك العملُ موفقاً إلا إذا خَلُصَت النَّوايا لله سبحانه، وكان الاتِّباع للحق لا للهوى، والتعامل بالعلم لا بالجهل، والأخذ بالإنصاف لا الظلم. ولنحذر من سوء النية والظن، قال ابن القيم رحمه الله: "ومن العجب أنَّ الإنسانَ يَهُونُ عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن

٣٤٠ النور: ١٢ .

النظر المحرَّم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفُّظ من حركةِ لسانه؛ حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدِّين والزُّهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقى لها بالاً يترل بالكلمة الواحدة منها أبعَدَ ما بين المشرق والمغرب. وكم نرى مِنْ رجلٍ متورِّعٍ عن الفواحش والظلم ولسانُهُ يفري في أعراضِ الأحياءِ والأموات، لا يُبالي ما يقول".[٣٤١] وهذا نموذجٌ مُشْرِقٌ للتناصُحِ الحسَن عند الاختِلافِ والتجرُّدِ مِن حظوظِ النفس.

وأذكِّرُ في ختامِ الكتابِ بكلماتٍ طيِّبةٍ صادقةٍ في ضَرُورةِ الوِحْدة،[٣٤٢] قالها فضيلة الشيخ الداعية الموفَّق محمد سيد حاج رحمه الله[٣٤٣] ــ وهو مِن كِبارِ الدُّعاةِ إلى توحيدِ

---

٣٤١ أصول وقواعد في الاتفاق والافتراق. د. إسماعيل محمد حنفي.

٣٤٢ قدَّمَها في ورقة في (فقه الائتلاف) في مؤتمر (العمل الإسلامي بين الاتفاق والافتراق) الذي انعقد في (قسم الثقافة الإسلامية) بجامعة الخرطوم (جمادى الأولى ١٤٢٥هـ/يوليو ٢٠٠٤م)، وشارك فيه لفيف من علماء ومفكري العالم الإسلامي، ونوقشت فيه ٣١ ورقة وبحثا علميا قدمها عدد من العلماء والباحثين من داخل وخارج السودان، وشارك في مناقشتها عدد كبير من المهتمين بالعمل الإسلامي. تحت شعار: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، وأكد العلماء المشاركون فيه: أن الأمة الإسلامية تعيش منعطفاً خطراً، وتواجه عدواً شرساً، وتكتلات كبرى؛ وأن عليها ان تتكاتف وتتعاون للخروج من المأزق. ومن توصيات المؤتمر:

١. التأكيد على ضرورة جمع كلمة الأمة الإسلامية ونبذ الفرقة.
٢. إيجاد ميثاق شرف بين العاملين للإسلام؛ بالعمل على المتفق عليه، والتحاور في المختلف فيه، والإعذار فيما سوى ذلك.
٣. وضع آلية لتفعيل مبدأ الائتلاف والاجتماع في العمل الإسلامي، يتفق عليها العاملون في الحقل الإسلامي.
٤. إدراج آداب الحوار والتعامل مع المخالف في مناهج التعليم والمناهج الدعوية.
٥. حث العاملين للإسلام على الإكثار من اللقاءات الدورية، والندوات المشتركة، والزيارات المتبادلة؛ لتقريب وجهات النظر، وإصلاح ذات البين.
٦. على العلماء والدعاة والخطباء والإعلاميين تفعيل فقه الحوار في خطابهم الدعوي وكتاباتهم، وبيان خطر الافتراق وأثره في الفشل وتسلط الأعداء.
٧. دعوة العاملين للإسلام إلى تبني دورات وندوات عن منهج الإسلام في الاجتماع والافتراق، ونشر ذلك في وسائل الإعلام.

الأمة ــ "إننا بحاجةٍ أنْ نُذكِّرَ بعضَنا: أنَّ ما يَجْمَعُنا أكثَرُ مما يُفرِّقنا، وأنَّ ما يُوَحِّدُنا أكثَرُ مما يُشَتِّتُنا، وهنا لا بُدّ أن نُذكِّر بأنَّ أيَّ جماعةٍ أو طائفةٍ إنْ اختلَفْنا معها فإنَّ كُلِّيّاتِهم ومَقاصِدَهم بالجملةِ على خيرٍ، وإنْ حصَلَ بعضُ الخلَلِ والانحرافِ في مسائلَ؛ فلا بُدَّ مِن رِعايةِ قَصْدِهم وأهدافِهم وغاياتِهم وعدمِ تضييعِها، بل والاستفادة من مقاصِدِهم وأهدافِهم في نُصْحِهم وتقويمِهم وتصحيحِ أخطائهم.[٣٤٤] وهي كلماتٌ في غايةِ الإنصافِ والإخلاص رَحِمَ الله الشيخَ ورَفَعَه في علِّيِّين.

وما أحْوَجَ أُمّتَنا بحكوماتِها وشعوبِها أنْ تتمثَّلَ بقولِ عمرو بن الأهتم وحكمتِه البليغة:

لَعمْرُكِ ما ضَاقَتْ بِلاَدٌ بأهْلِها * ولكِنَّ أخْلاَقَ الرَّجالِ تَضيقُ![٣٤٥]

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.[٣٤٦]

---

٨. التعاون على تنفيذ برامج مشتركة بين العاملين للإسلام.

٩. أن يعهد إلى القائمين على وسائل الإعلام الإسلامية بإضافة موضوعات تتحدث عن آداب الخلاف وطرق التعامل مع المخالف، مع إنشاء مركز متخصص لتزويد وسائل الإعلام بجميع ما يخدم الأهداف الإسلامية.

٣٤٣ راجع في فضائل الشيخ ومآثره وتميز خطابه الدعوي مقال: (لماذا أحب الناس الشيخ محمد سيد حاج رحمه الله؟) لمحمد عمر دولة بشبكة المشكاة الإسلامية.

٣٤٤ ورقة فقه الائتلاف لفضيلة الشيخ محمد سيد حاج رحمه الله.

٣٤٥ ديوان الحماسة ٢/٣٠١.

٣٤٦ وأشكر أخي الدكتور عبد الرحمن محمد علي سعيد الأمين العام لجمعية القرآن الكريم، الذي اقترَحَ علَيَّ تأليفَ هذا الكتاب، وأخي الشيخ عثمان عبد الرحيم مسؤول حملة عثمان بن عفان لتوزيع المصحف الشريف بجمعية القرآن الكريم، الذي تفضل بمراجعة الكتاب كله ومناقشة مواضع عدة منه، وأشكر الأستاذ معتصم السيد هاشم المدير التنفيذي للجمعية، والأستاذ علي أمبدة بأمانة الولايات بجمعية القرآن، والأستاذ محمد عثمان حبيب الله أمين الإعلام بجمعية القرآن الكريم، والأستاذ ياسر القاضي مدير إذاعة الفرقان على مشاركتهم وإبداء ملاحظاتهم حول الكتاب. جزاهم الله جميعا خير الجزاء، وتقبَّلَ الله مِنّا ومنهم جميعا.

فهرس الموضوعات:

مقدمة	٣
الفصل الأول: مَعاوِلُ تفتيتِ الوِحْدَة:	**٢٥**
تمهيد: دور اليهود في تفتيت وحدة الأمة:	٢٧
المبحث الأول: المِعْوَل السياسي والاقتصادي:	٣٢
المطلب الأول: تغذية الخلافات السياسية لِبَثِّ التفرِقة في الأمّة:	٣٢
المطلب الثاني: تفتيت الوِحْدة بإثارةِ الفِتَنةِ المذهبية في الدول الإسلامية:	٣٤
المطلب الثالث: تفتيت الدول وتفريق أهلها لنهب ثرواتها:	٣٦
المبحث الثاني: المِعْوَل الإعلامي:	٣٧
المطلب الأول: الحملة الإعلامية الغربية لشقِّ الدول العربية:	٣٧
المطلب الثاني: أَثَرُ الشائعاتِ في تفتيتِ وِحْدةِ الأمّة:	٣٨
المطلب الثالث: أثر الشائعات في احتلال الدول وتقسيمها:	٤٣
المبحث الثالث: المِعْوَل الثقافي والاجتماعي:	٤٣
المطلب الأول: دغدغة المشاعر القومية لتمزيق وحدة الأمة:	٤٣
المطلب الثاني: إضعاف اللغة العربية وتشجيع اللهجات العامية:	٤٦
المبحث الرابع: المِعْوَل الأخلاقي:	٤٧
المطلب الأول: من وسائل تفتيت الأمة إضعافُ رُوح التديُّن:	٤٧
المطلب الثاني: إشاعة الفاحشة من وسائل تفتيت الأمة:	٥٠
الفصل الثاني: أثر العقيدة والعبادة في توحيد الأمة:	**٥٥**
المبحث الأول: أثر العقيدة في توحيد الأمة:	٥٧
المطلب الأول: الوِحْدةُ ولزومُ الجماعةِ من الثوابتِ وأصُولِ الدينِ:	٥٧
المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية تحُثُّ على الائتلافِ وتنهى عن التفرق:	٥٨
المبحث الثاني: أثر العبادة في توحيد الأمة:	٥٩
المطلب الأول: مبدأ الاجتماع على العبادة في الإسلام:	٥٩

المطلب الثاني: الصوم مظهَرٌ من مظاهرِ وِحْدةِ الأمّة الإسلامية: ٦٠
المطلب الثالث: الوِحْدة من مقاصد الحج: ٦٢
المطلب الرابع: الصلاة ومظاهر الوحدة: ٦٢
المطلب الخامس: الزكاة من أعظم مظاهر الوحدة: ٦٣
الفصل الثالث: الوِحْدة في القرآن الكريم: ٦٥
المبحث الأول: جمع القرآن بين أُخُوّةِ الإسلام وبين الإصلاح الاجتماعي: ٦٧
المبحث الثاني: امتنان الله بالإيمان ووحدة الكلمة بعد الحروب والتمزق: ٦٩
المبحث الثالث: من أغراضِ القرآن العظمى الحثُّ على الوِحدة: ٧٠
المبحث الرابع: بيان القرآن أنَّ الاعتِصامَ سبيلُ القُوّة والوحدة مِن أسبابِ النَّصْر: ٧٣
المبحث الخامس: نهي القرآن الأمة عن التنازع والتفرق والشقاق: ٧٥
المبحث السادس: بيان القرآن عاقبةَ التنازُع من الفشلِ وذهابِ الرِّيح: ٧٩
المبحث السابع: تحذير القرآن الكريم من زعزعة وحدةِ الأمة وشقِّ صفِّها: ٨١
الفصل الرابع: الوِحْدة في السُّنّة ودور المؤاخاة ونبذ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة: ٨٥
المبحث الأول: حثُّ السُّنّة على الوِحْدة والنَّهي عن الفُرْقة: ٨٧
المبحث الثاني: أمرُ النبيِّ ﷺ بإصْلاحِ ذاتِ البَيْنِ ونَهْيُه عن إفسادِها: ٨٩
المبحث الثالث: التربية النبوية على التطاوُع والاتفاق وترك التنازُع والشِّقاق: ٩١
المبحث الرابع: مِنّة الإيمان والاجتماع بالنصِّ النبوي: ٩٢
المبحث الخامس: دور المؤاخاة في بناءِ الوِحْدة: ٩٣
المبحث السادس: دور نَبْذِ النَّعَراتِ في بِناءِ الوِحْدة: ٩٤
المطلب الأول: كسر الأصنام الاجتماعية من العصبيات والنعرات: ٩٤
المطلب الثاني: النسَبُ للتعارُف وليس للتفاضل والتفاخُر: ٩٨
المطلب الثالث: منع الإساءة العرقية وحزم النبيِّ ﷺ مع زلة أبي ذر: ١٠٠
المطلب الرابع: تعليم الصحابة مبدأ (مَن أبطأ به عَمَلُه لم يُسْرِعْ به نَسَبُه): ١٠١
المطلب الخامس: النهي عن النعرات والعصبيات القومية: ١٠٤

المطلب السادس: النهي عن القتال للحَمِية والعَصَبية: ١١٠
المطلب السابع: عدالة الإسلام فوق الأنساب والأحساب: ١١٠
الفصل الخامس: مَعالِم في فقه الوِحْدة والائتلاف: ١١٥
المبحث الأول: ليس الاختلاف في الفروع الفقهية من التفرق المذموم: ١١٧
المبحث الثاني: فضل الخروج من الخلاف ومراعاة الاتفاق: ١١٨
المبحث الثالث: الفتوى الجماعية وأثرها في توحيد الأمة: ١٢٠
المبحث الرابع: لا تعارض بين الوِحْدة الوطنية ووِحْدة الأُمّة: ١٢١
المبحث الخامس: التأسِّي الصحابة في الحرصِ على الائتلاف ونبذ الخلاف: ١٢٧
الخاتمة ١٣١